كتاب الهلال

أزمة الشباب

د. نعمات أحمد فؤاد



كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : كمال النجمى

سكرتير التحرير : عايد عياد

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

KITAB ALHILAL

العدد ٣٨٦ - ربيع الثانى ١٤٠٣ - فبراير ١٩٨٣

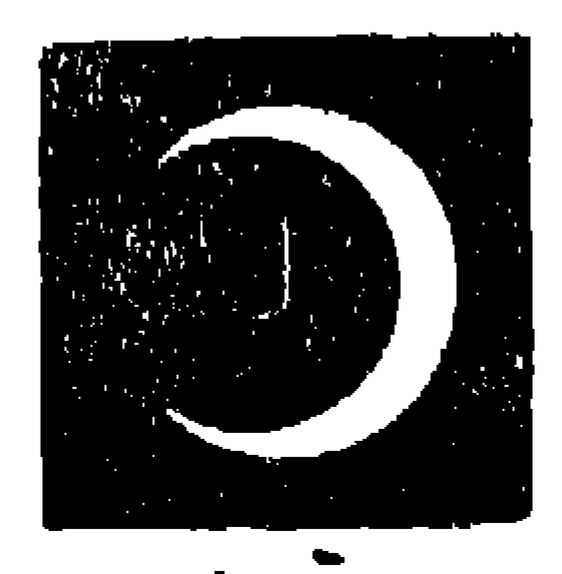
No. 386 - February 1983

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى - ١٢ عددا - فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى . وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان خمسة جنيهات مصرية أو مايعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى وعشرون دولارا بالبريد الجوى

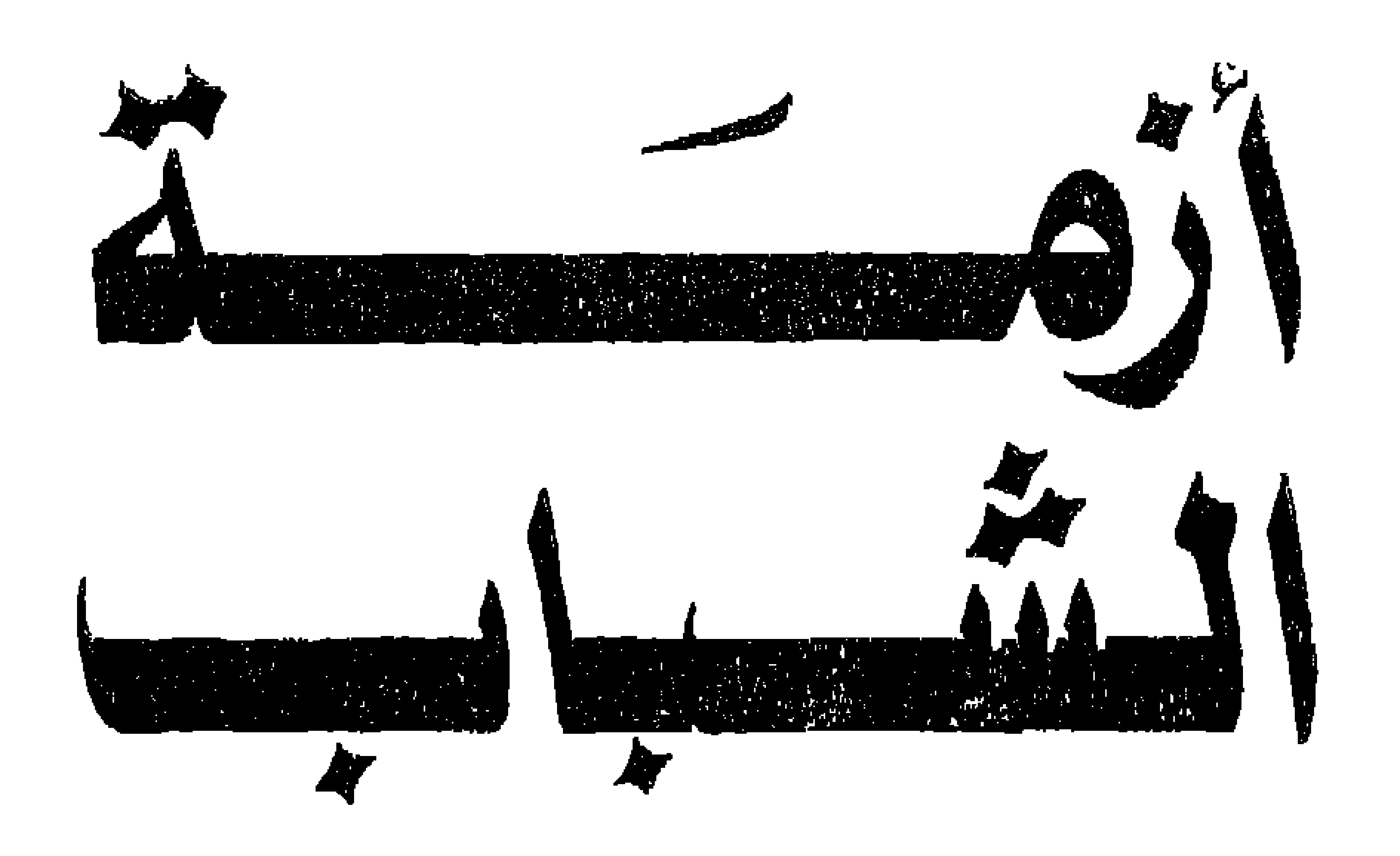
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج. م. ع. بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغلاف بريشة
الفنانة سميحة حسنين



•

تأليف

الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

•

دار الهلال

مقدمة

أزمة الانسان المصرى والشباب المصرى ليست أزمة أقليمية محلية بل هى جزء من أزمة عالمية يعانى منها الانسان فى كل مكان فكبار المفكرين فى العالم على اختلاف فى جنسياتهم علماء وفلاسفة ومؤرخين يجمعون على وجود أزمة (١) .

قد يراها كل منهم من زاوية أو يعزوها الى هذا السبب أو ذاك ولكنها موجودة وان اختلفت بواعث وأسباب ونتائج من بيئة الى أخرى .

فالمؤرخ العالمى أرنولد توينبى يرى الحرب والطبقات عاملين يتهددان الانسان الحديث وحضارته ، وعنده أن الحرب والطبقات داء المدنيات جميعا . وعنده المخرج من هذا الداء أن نقيم البناء الدنيوى الخارجى على أسس من الدين . وحين يعدد أهداف المدنية الغربية ويجعلها ثلاثة : السياسة .. والاقتصاد .. والدين الذى يراه أهمها جميعا (ليس من شك فى أن الهدف الدينى من بين هذه الأهداف الثلاثة أهمها جميعا فى النهاية) فالسياسة كما يقول لا تحقق النجاة بالسيادة المطلقة

---

(١) اقرأ كتاب « آراء فلسفية فى أزمة العصر » تأليف ادرين كوخ ـ ترجمة محمود محمود .

فى الدول الاقليمية . او بحكم الاستبداد الذى لا يلين والذى تتولاه حكومة عالمية مركزية .

وهى لا تتحقق فى الاقتصـــاد بالمشروعات الفـردية غير المقيدة أو بالاشتراكية غير المخففة .

لقد أفلست حضارة الغرب بكل التكنولوجيا أن تحقق لانسانه السعادة لانها اعتمدت على الذهن وحده فأجدبت الروح من طول الاهمال .. ان ازدياد المعـرفة كما يقـول رادا كريشنان حكيم الهند ، دون أن يقابله نمو فى الحكمة الدينية انما يزيد مخاوفنا من الموت ، وثقافتنا العلمية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ البشرية . لقد سيطرنا على قوى الطبيعة وتحكمنا فى البحار وغزو الفضاء . ولقد زدنا من الانتاج وحاربنا المرض ونظمنا التجارة وجعلنـا الانسان سيدا على بيئته ، ولكن سيد الارض لا يستطيع على الرغم من هذا أن يعيش مطمئنا فهو يختبىء فى باطن الارض تارة ، ويلبس الاقنعة يتقى بها الغـارات تارة أخرى . ان مخاوف الحروب تطارده فهو يعيش فى حالة من الشك دائمة . ولا يمكن أن تكون هذه الحضارة المهددة بالحرب . والمندفعة بقوة الآلة هى آخر ما يصل اليه الانسان من كفاحه ، وما لم تكن بلهاء مكفوفين أو ضعاف العقول راضين عن أنفسنا ، فسوف نعرف أن التنظيم العملى لا يفى بما تتطلبه روح الانسان .

حتى اينشـتين عالم الطبيعة العـالمى يعلن أن الغـرب كسب الحرب ولكنه لم يكسب السـلام لقد وعد ميثـاق الاطلنطى العالم بالتحرير من الخوف (ولكن الخـوف ازداد كثيرا منذ انتهاء الحرب .. وقد وعد العالم التحرر من

الفزو غير أن المجاعة تهدد اليوم أجزاء كبيرة من العالم ، في حين أن اجزاء اخرى تمرح في رغد العيش . وعد بالحرية والعدالة بيد انا شاهدنا ولا نزال نشاهد ، المنظر الأليم . منظر جيوش « التحـــرير » تطلق النيران على شعوب تطالب باستقلالها وبالمساواة الاجتماعية ، وتؤيد في تلك الشعوب ذاتها ، بقوة السلاح، الاحزاب والاشخاص الذين يصلحون لخدمة اغراض أصحاب المنفعـــة كما أن مشكلات الحدود ، والتنازع على السلطان ، وان تكن من الامور البائدة ، لا تزال تغطى على المطالب الاساسية ، مطالب الرفاهية والعدالة) .

ويعزو اينشتين أزمة الانسان الحديث فيما يعزوها اليه من أسباب الى الصلة الحاضرة بين الفرد والجماعة فلقد بات الفرد أشد ادراكا من أى وقت سبق لاعتماده على الجماعة ، بيد انه لا ينظر الى هذا الاعتماد باعتباره ميزة ايجابية ، أو رباطا عضويا ، أو قوة وقائية ، بل انه لينظر اليه باعتباره عاملا من العوامل التى تهدد حقوقه الطبيعية . بل وكيانه الاقتصادى) ثم يؤكد أن هـــذه العلاقة التى تربط الفـــرد بالمجتمع على الرغم من هـــذا تتدهور شيئا فشيئا) وكل الكائنات البشرية مهما يكن مركزها فى المجتمع ـ تشكو هذا التدهور المستمر . انهم يحسون ـ وهم سجناء أنانيتهم على غير علم منهم ـ أنهم يعيشون في قلق ، وعزلة ، محـــرومين من استمتاعهم بالحياة استمتاعا ســـاذجا بســـــيطا لا تعقيد فيه . ولا يستطيع المرء أن يجد للحياة معنى على الرغم من قصدها ومخاطرها الا اذا كرس نفســه للمجتمع) .

وهو يؤمن بقيمة الفرد بل يرى ان كل شيء له قيمة في المجتمع ، ماديا كان أو معنويا أو خلقيا يمكن أن يرد عبر الاجيال المتعددة الى بعض الافراد المبدعين فاستخدام النار ، وزراعة النباتات والآلة البخارية ... كل ذلك كان من اكتشاف رجل واحد .

ان تقدم المجتمع بغير الافراد المبدعين المستقلين فى تفكيرهم لا يمكن تصوره كتقدم الفرد دون تربة المجتمع التى تغذيه .

وكما يرى توينبى المخرج او النجاة فى الدين ، يرى اينشتين ان العالم الحقيقى لا يجحد الدين بل ان الدين بما فيه من كونية شاملة ، وايمان بوحدة الوجود هو الذى يحفز العلماء على العطاء ويمدهم بطاقة الصبر على عناء البحث العلمى (ولا يستطيع أن يدرك تمام الادراك مصدر الالهام لهؤلاء الرجال ، ومصدر القوة التى تجعلهم يثبتون على تحقيق أغراضهم على الرغم من ضروب الفشل العديدة التى تصادفهم لا يستطيع أن يدرك ذلك الامر الا من كرس حياته لمثل هذه الاهداف انه الشعور الدينى الكونى الشامل وحده الذى يمد المرء بمثل هذه القوة .

قال أحد المعاصرين . ان العالمين فى العلم الجادين فى عصرنا هذا المادى هم وحدهم الذين يتصفون بالتدين العميق) .

ويرى الفيلسوف المفكر « برتراند راسل » ان أحد الاخطار الكبرى في عصرنا الحاضر ، هو الخوف العام من الذكاء ــ وهو يقصد الذكاء الشديد . (الذي يكسب

صاحبه القيادة فى عصابة لصوص) كما يقول . وهو يعزو هذا الى قوة الآراء العسكرية التى انحدرت الينا من الازمنة السحيقة ، والتى تسيطر فى الحقيقة على العالم الآن فالقوتان العظميان تتسابقان فى الاسلحة المدمرة الفتاكة فهما دولتا حرب لا سلام وقوتهما عسكرية لا حضارية انسانية . . .

هذا هو العالم الأول أما العالم الثالث فتسيطر عليه ولكن بصورة أخرى النظم العسكرية والآراء العسكرية .

فان أردنا كما يقول برتراند راسل أن نحيا حياة سعيدة بالوسائل الفنية الحديثة وهى خليقة أن تحقق لنا قدرا كبيرا من السعادة (فلا مناص لنا من نبذ بعض الآراء والاستعاضة عنها بغيرها ، فنستعيض بالمساواة عن حب السيطرة ، ونستعيض بالعدالة عن حب الانتصار ونستعيض بالذكاء عن الاعمال الوحشية ، ونستعيض بالتعاون عن المنافسة ويجب أن نتعلم النظر الى الجنس البشرى كأسرة واحدة وننمى مصالحنا المشتركة باستخدام مصادر الثروة الطبيعية استخداما ذكيا ، ونسير مجتمعين نحو الرفاهية ، لا منفردين نحو الموت والدمار .

ان التغير العقلى المطلوب شاق عسير ولا يتم بين عشية وضحاها ولكن اذا أدرك المربون الحاجة اليه ، واذا نشأ الصغار كمواطنين فى هذا العالم ، لا كمواطنين فى عالم القاتلين الذين يعيشون على النهب والسلب ، أمكن تحقيق التغيير المنشود خلال جيل واحد) .

ويكشف برتراند راسل فى غير مواربة واقع الحال

بين الغرب والشرق ويعرى الدفين من باطن الغرب . يقول برتراند راسل « ما أيسر أن تنتشر مساوىء الغرب : القلق والروح العسكرية والغضب ، واعتقادنا الجازم فى الآلة . أما أفضل ما فى الغـــرب روح البحث الحر . وادراك الظروف التى تؤدى الى الرفاهية العامة والتحرر من الخرافة فان الدول القوية فى الغرب تصرف الشرق عن التحلى به » .

وهى كلمات لها ابعادها البعيدة ، وعلى الشباب المصرى والعربى أن يتدبرها ويستوعبها جيدا ليختار لنفســه لا ليتلقى ما يريده له الغرب فى محاولة تطويع وتتبيع .

وبعد فهذه صورة لما يعانيه ويفكر فيه العالم اليوم .. ونحن حين نتكلم عن أزمة الانســان المصرى أو الشــباب المصرى والعربى فلسنا بدعا فى الخلق ولسنا كلنا فى الهم شرق كما يحلو للكثيرين أن يرددوا ولكن كلنا فى الهم غرب وشرق فى وقت واحد . وان كنا نقاسى أقسى وأقصى ، بما يجتمع علينـا من أسبابنا وأسبابهم ممـا سيفصله هذا الكتاب .

د . نعمات أحمد فؤاد

مشكلة الشباب
أو أزمة الإنسان

لا أزعم لنفسي ان اتكلم عن أزمة الانسان العربي لأن ازمة الشباب تختلف من بلد الى بلد ومن بيئة الى بيئة ولأن مثل هذا البحث يقوم على احصاءات وأرقام لا تتوفر لي الا في بيئتي ولأن مثل هذه الدراسة تقوم على عوامل تاريخية واجتماعية ونفسية وثقافية وحضارية اقدر عليها أصحاب المشكلة انفسهم لعامل المعايشة والارتباط والرابطة .

وهذه العوامل نفسها هي التي جعلتني أقصر الدراسة على أزمة الانسان المصري . ومع هذا فغير قليل من الخطوط العامة يشترك فيها معه ، الانسان العربي . فنحن مهما تباعدت بلاد ، في الدين والفصحى أخوان وفي الجرح والآلام اخوان وفي المعاناة والمصير اخوان .

ومن المشاكل التي تنسحب على انسان وطننا العربي الكبير مشكلة الحضارة الحديثة فهي مع تقدمها الفائق في الوسائل الا أن الوجه الآخر منها فادح الثمن ومن هذا : سرعة التغير .

سرعة التغيير :

يقول الفن توفلر : « اننا نعيش اليوم في النصف الثاني

من تاريخ الانسانية . ولا يوازى ذلك الا انتقال الانسان من حالة البربرية الى حالة الحضارة . وفى هذا القرن نجد ان الحالة العامة للحياة وسرعة التحرك فيها وحتى حس الانســـان بهذه الحياة من زوية مفاهيمه عن الزمن والجمال والفضاء والعلاقات الاجتماعية تتعرض لهزات عنيفة » (١) .

يقول روبرت أوبنهايمر الفيزيائى المشهور : « ان عالمنا اليوم عالم جديد . وقد تغيرت فيه مفاهيم عدة مثل وحدة المعرفة وطبيعة المجتمعات الانسانية ونظام المجتمع ونظم الافكار ، لا بل ان مفهوم المجتمع نفسه والثقافة قد أصابهما التغيير ولن يعود أى من هذه المفاهيم الى ما كان عليه فى الماضى . فالجديد جديد لا لأنه لم يكن موجودا في الماضى بل لأن تغييرا فى النوعية قــد طرأ عليه . والشيء الجديد اليوم هو كثرة الجدة وتغير معيار التغير نفسه ومداه لدرجة ان العالم من حولنا يتغير بينما نسير مشوارا . والحصيلة انه لا تمر تغيرات صغيرة فى عمر الانسان المعاصر ولا يضطر المرء لمجرد تعـديل ما تعلمه فى صغره .. بل ان ما يحــدث لا يمكن وصفه الا بأنه انقلاب ضخم » .

ويقول الفن توفلر : « وبوسع المرء أن يأخذ فكرة عن حجم التغير ومداه من أن نصف كمية الطـــــاقة التى استهلكها الانسان فى تاريخه الطويل قــد استهلك فى القرن العشرين » .

---

(١) راجع كتاب « العلم ومشكلات الانسان المعاصر » للاستاذ زهير الكرمى . ص ٢٨٦ .

ويقول كينيث بولدينج : « لقد استخرج الانسان من المناجم بعد سنة ١٩١٠ كمية من المعادن تعادل الكمية التي استخرجها منها قبل هذه السنة والى بدء الخليقة » .

ويقول ماكس ويز : « فى مدى العقد أو العقدين القادمين سيكون مفهوما لدى الناس بعامة أن التحدى الرئيسى للمجتمع فى الولايات المتحدة الامريكية لن يكون مركزا حول انتاج السلع ، ولكن حول الصعوبات التى تواجه هذا المجتمع والفرص المتاحة له فى عالم يتسارع فيه التغيير وتتكاثر فيه مجالات الاختيار » .

« ولقد كان التغير دوما جزءا من بيئة الانسان ، ولكن الذى تغير الآن هو معدل هذا التغير ، ومن المتوقع ان يكون مستقبلا أسرع وأسرع مؤثرا بمعدله هذا تأثيرا مضاعفا فى كل منحى من مناحى الحياة ، بما فى ذلك : القيم الشخصية .. والمستوى الخلقى .. والمعتقدات رغم بعد كل هذه عن التكنولوجيا .

وسيكون التغير متسارعا بشكل يجعل محاولة تفهمه ، العمل الاساسى فى ذلك المجتمع شغله الشاغل » .

ويعتبر ماكس ويز عام ١٩٥٠ نقطة تحول وتاريخا اعتباريا لبدء هذا التحول . ويشير الى انه من عام ١٩٥٠ حتى اليوم يعيش فعلا ربع مجموع البشر الذين عاشوا منذ أن خلق الله الانسان قبل مليون سنة ويعيش ٩٠٪ (تسعين) من العلماء الذين أنتجتهم الانسانية .

هناك أكثر من مائة ألف مجلة علمية وتكنولوجية متخصصة تنشر بحوالى ٦٠ لغة . ويتضاعف عدد هذه المجلات كل خمس عشرة سنة . وبالرغم من ضيق

التخصص صار من الصعب ان لم يكن من المستحيل على العالم أو التكنولوجى أن يتابع قراءة كل ما يستجد فى ميدان تخصصه الضيق . ومثل هذا الامر يمثل مشكلة حقيقية ...

ومن الواضح ان لهذه الحالة انعكاسا على المجتمع برمته .. ذلك أن كل كشف علمى وكل جديد فى هذه المجلات العلمية له أثر وانعكاس على المجتمع وحياة الانسان .

هذا اذا انتبه أما اذا لم ينتبه فهنا تتفاقم المشكلة اذ يتعرض لصدمات التغير وصدمات المستقبل وما ينتج عن ذلك من مآس وويلات .

ماذا يجرى فى عالمنا ؟ نسمع جواب المتقدمين أنفسهم :

يقول الرئيس الفرنسي ديستان : « لقد بدأنا نعيش الآن في دنيا غير سعيدة ، بل وتعيسه ، انها دنيا غير سعيدة ، لانها لا تعرف الى أين هى ذاهبة . ولانها تخمن أنها لو قدر لها أن تعرف ، فانها سوف تكتشف انها تتجه الى كارثة . ان هذه الدنيا غير السعيدة هى التى يجب أن يقودها السياسى الآن ، ان الازمة العالمية الحالية مزدوجة ، فهي ليست مجرد قلق عابر .. ولكنها فى الحقيقة ترمز الى تغير دائم .. وهكذا فاننا سوف نرى خلال السنوات القليلة القادمة نوعا من السقوط والتدهور فى أوربا .. بينما دول أخرى سوف تتجه الى أعلى .. وبشكل ما ، فان هذا هو الانتقام الذى نتوقعه ضد أوربا القرن التاسع عشر ! » .

ويقول الكاتب (أندريه مالرو) « اننى بدأت أفقد

أيمانى فى انه يوجد الآن عصر من النهضة .. لاننى اؤمن بأنه اذا استمرت أزمتنا الانســـــانية بغير حل ، فان نهضتنا الثقافية مستحيلة .. ان هذه الحضارة التى بدأت مع نابليون هى الآن فى أزمة ، ما فى ذلك شك » .

شباب اليوم يعيش عصر الحضـــاره الحديثة ويتمتع بوسائلها البراقة ولكن الحضارة الحديثة تقترن بـ :

الاسلحة الفتاكة :

التى تهدد الانسان بالدمار ·· وأشـــد ما يكون هـذا التهديد وقعا على نفوس الشــــباب المتفتحة للحيــاة الشغوف بها .

فكما هزت سيطرة الآلة القرن الثامن عشر ·

وهزت الحـروب الضـارية القرن العشرين وخاصة الحرب العالمية الاولى والثانية ، تهز شباب النصف الاخير من هذا القرن الحروب الساخنة والباردة بين المعسكرين الشرقى والغربى وما يتبع هذا من سباق الاسلحة الفتاكة التى تتهدد الانسان بالدمار .

اجهزة التجسس العلمية :

التى تحرم الانسان من حياة خاصة يحياها وتحرمه متعة الستر والسر ولقد بلغ الامر بالدول التى تسمى نفسها متقدمة ان انتهكت حرمة أفرادها الى النخاع حتى ليسمى باكارد المجتمع الامريكى : المجتمع العارى فى كتابه The naked society. Pelican 1926

التلوث :

تضخم الصناعة أدى الى تلوث الهواء فى المدن وتلوث الافكار بالاعلان .

الشعارات :

كانت الازمات قبلا مشاكل اقتصادية ـ ولكن بعد ازدهار الصناعة واتساع الانتاج وتوسع الاستهلاك ـ اصبحت نفسية . وثقافية وانتقلت صيحات التمرد من العمال الى الشباب بصفة عامة والطلبة والمثقفين بصفة خاصة .وأدى هذا كما يقول الدكتور حازم الببلاوى (١) الى ظهور شعارات جديدة مثل « ثورة الشباب » و « الثورة الثقافية » وغير ذلك .

للوطن العربى كما يقول مصدر قوة هائلة ممثل فى حجم سكانه الذى يتعدى حاليا المائة وسبعين مليون نسمة وينمو بمعدلات مرتفعة نسبيا ينتظر أن توصله لقرابة الثلاثمائة مليون عند مطلع القرن القادم .

ويترتب على هذه الزيادة فى عدد السكان ارتفاع نسبة العرب من سكان العالم الى قرابة خمسة بالمائة فى عام ٢٠٠٠ .

عائدات النفط :

توصلت فى الاقطار العربية السبعة الاعضاء فى منظمة

---

(١) أنظر بحث « التنظيم السياسى فى المجتمع التكنولوجى الحديث » للدكتور حازم الببلاوى مجلة « عالم الفكر » المجلد الاول العدد الاول (ابريل ـ مايو ـ يونية) ١٩٧٠ .

الاقطار المصدره للبترول (الامارات ـ الجـــزائر ـ السعودية ـ العراق ـ قطـــر ـ الكـويت ـ ليبيا) ٥٥ بليونا من الدولارات سنة ١٩٧٥ أى حوالى اثنى عشر ضعفا لقيمتها سنة ١٩٧٠ .

ومما يدعو للألم ان زيادة العوائد المالية هذه قـد ادت ـ فى أغلب الحـالات ـ الى زيادة تبعية الاقطـار العربية النفطية للدول الغربية المصنعة ـ نتيجة لزيادة استيراد الاولى من الثـانية . بل نشـأ شـكل جديد من أشكال التبعية بسبب توظيف الجزء الاكبر من الفوائض النفطية فى الدول الغربية المصـنعة عن طريق اعادة تدويرها فى اقتصاديات تلك الدول . وأحيانا فى صورة استثمارات قليلة الجدوى .

تعميق التبعية للدول المصنعة :

(طورت القوى الاستعمارية فى اشـكال مقنعة للاستعمار بحيث تبقى على الاستقلال السياسى صوريا مفرغا من مضمون حقيقى وتقوم اسـاسا على آليات للتبعية الاقتصادية) .

والادهى التبعية الثقافية التى تمس الجذور .

١٩٧٤ :

عام ١٩٧٤ يمثل منعطفا حاسما فى تاريخ التبعية العربية . اذ شهد هذا العـالم عـودة النفـوذ الامريكى مسيطرا على المنطقة .

الامتداد المسلح « من خلال اسرائيل » :

مشكلات التنمية : ان الدارسين للدول النامية يعدون

من مشاكلها (عمليات الامتداد المسلح ، والحصار الاقتصادى ، وحصار الاسلحة ، والتمييز العنصرى ، وغيرها من وسائل الضغط على المجتمعات النامية ، أو على الاقليات الحضارية فى نفس الحضارة) (١) .

وقد عانى الانسان المصرى من العوامل الثلاثة الاولى اى :

الاعتداء المسلح .

وحصار الاسلحة .

والحصار الاقتصادى .

الامية على الساحة الكبيرة :

(حوالى ثلثى العرب الكبار كانوا ما زالوا يجهلون القراءة والكتابة والحساب فى منتصف السبعينات . وفى الواقع أن نسبة الامية فى البلدان العربية أعلى بكثير عن المتوسط العالمى الذى لم يتعد ثلث السكان فى عام ١٩٧٥) (٢) .

على أن التعليم (يجب أن يمتد الى التعليم الوظيفى والحضارى الذى يمكن الانسان من المشاركة بفاعلية فى الانتاج والنشاط العام فى مجتمعه لتبين لنا خطورة ظاهرة الامية ، انعكاسا لضعف التحصيل التعليمى فى الوطن العربى) .

(والقوى البشرية العربية على ضعف قدرتها الحالية :

---

(١) كتاب (التعسير الحضارى وتنمية المجتمع) ص ٣١٤ .

(٢) بحث « التنميه العربية بين الامكانات والهدر » للاستاذ نادر الفرجانى . مجلة المستقبل القريب . العدد ٢٤ لسنة ١٩٨١ .

غير مستغلة بالدرجة الكافيه فى انشـــــطة انتـاجية فعاله » .

العنف :

ويعزو أرنولد توينبى ظاهره العنف فى العصر الحديث الى انسحاق الفرد وضياعه فى صخب الآلة وآلية الحياة الاجتماعية .

وان كان جاردنر لا يؤيد ادانة العصر فالقضية عنده قضية الانسان الذى جبل على الاعتقاد بأن الماضى استأثر بالخير كله حين يعج الحاضر بالشر والآثام .

ويعقب عليهما الدكتور محمــد جـواد رضـــا (١) بأن العنف وراءه الحالة الاقتصادية عسرا أو يسرا ففى الاولى يدفع الحرمان والفقر الى العنف وفى الاخـــرى يدفع الرخاء الى التنافس والاستئثار مما يسمم حياة الانسان الطبيعية . مستندا الى رأى لاستاذين فراى Fry وهاجارد Haggard فى كتاب Anatomy of Personality

الغزو الحضارى :

لقد أدى التـلازم الذى يقيمه تصور الحضــــــارة الصناعية بين مستوى الحياة وبين التقدم التكنولوجى الى خلق ما يسميه بعض الكتاب الاجتماعيين الغربيين انفسهم « بالغرور الحضارى » .

سواء عند الخبراء الذين يعملون فى المجتمعـــــات النامية ، **أو عند الدول المعنية نفسها (٢)**

---

(١) ظاهره العنف فى المجتمعات المعاصره . مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس العدد الثالث .

(٢) كتاب (التعبير الحضارى وتنمية المجتمع) للدكتور محيى الدين صابر ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

الوهم الحضارى :

هو الانماط السلوكية المتبادلة التى تنتهجها الحضارات المختلفة فى مراحل تماسها واحتكاكها المباشر ، تعبيرا عن طبيعة العلاقات المتصورة بينها .

تمزق الانسان بين حضارته وحضارة الآخرين :

طبيعة الصراع بين الحضارات الغالبة والمغلوبة وتمزق انسان الدول النامية بين قيمه الموروثة والمحببة وبين مقتضيات ومتطلبات الحضارة الصناعية .

والنتيجة ليست فى صالحه اذ (لا يمكن تفادى وقوع التغيير الحضارى فى هذا العصر الذى اتسعت فيه المواصلات الفكرية والمادية ، وصارت نطاقا يلف العالم كله) . ص ٣١٧ كتاب التغير الحضارى وتنمية المجتمع .

مشكلة العصر لا فى مصر وحدها بل فى الشرق خاصة هو زحف أمريكا أو الحضارة الصناعية على انسان الحضارات الانسانية .

معركة الانتقال او الصراع الحضارى أو زحف الحاضر المستقبلى على الماضى العميق الجذور فى النفوس .

انها مشكلة الاختيار .. وهذا الاختيار محنة وهو العقبة الاولى . هذا الحاضر الجديد لا يحتمل الاوجود اجديدا ، فلا مكان فيه للقديم ، ولا مكان فيه كذلك لنصف الجديد !! فنصف الجديد هو نصف القديم !! ص ٣٣١ . ولو واتت الوسائل المادية ، وأسعفت الخبرات الفنية ، تخاصم الجديد والقديم ، وجاء شيء هجين فيه من الجديد سمته وشكله ، ومن القديم مضمونه ومعناه ، وفات القديم الذى كان يربط

المجتمع ، ويمسك ببنيانه ، ولم يقم الجديد الذى يحل محله، ويقوم مقامه . ص ٣٣١ .

(وهكذا لابد لهذه المجتمعات من أن تدفع ثمن التنمية الاقتصادية والاجتماعية المكتوبة عليها فى هذا العصر ، فى كل المستويات ، وفى صور كثيرة : ولابد أن يتحمل ذلك جيل من أجيال هذه المجتمعات ، ويسهم فيها) . ص ٣٣٢ .

مشكلة الاختيار :

تقوم على بعض الحقائق الحضارية مثل :

● النسبة الحضارية (ما هو حضارى فى مكان قد يكون شاذا فى مكان آخر) .

● التكامل الحضارى (استحالة فصل الانماط والسمات الحضارية فصلا وظيفيا عن النسق الكلى للحضارة) .

تلكؤ حضارى :

من الضرورى ان نفرق جليا كما يقول ستيوارت تشيز بين :

١ ـ الاختراعات المادية .

٢ ـ السلوك البشرى المترتب على هذه الاختراعات .

٣ ـ السنن الحضارية ونظم المعتقدات .

وتدخل المخترعات عادة فى الحضارة على مرحلتين : أولا ، يغير الناس سلوكهم اليومى ليوائم المشروع الجديد ، فاذا كان نافعا كالاذاعة بالراديو حدث التغيير بسرعة متوسطة فى عشر أو خمس عشر سنة • ثم بعد ذلك

يأخذ الناس بعد ذلك بزمن طويل فى تغيير سننهم ونظم اعتقاداتهم ، مراعاة للاختراع ، وتدبيرا للوسائل التى تراقب تأثيره فى مصلحة المجتمع . والوقت الذى يمر بين المرحلة الاولى والمرحلة الثانية يعرف بالتلكؤ الحضارى . وهو اصطلاح ابتكره « أوجبرن » ، ويمثل جزءا حيويا من الفكرة الحضارية ، مبدأ من أهم المبادىء فى العلم الاجتماعى بكامله وأنفعها (١) .

وهنا يكون التمسك بالتراث تماسك فى وجه الحضارة الصناعية .

الخوف على التراث :

أو العصر الذهبى او الكبرياء القومية للمجتمعات النامية كما يقول الدكتور محيى الدين صابر وهى المرحلة الراهنة التى نعيش فيها ، مرحلة الحيرة بين المتطلبات الحيوية للقوميات الناشئة ، بين التقدم الاقتصادى والمعرفة العلمية والقدرة التكنولوجية ، وبين القيم والانماط الحضارية القديمة التى تمثل التراث القومى ، والطابع الحضارى الذى يرتبط بالامجاد القديمة التى تتخذ صورة مقدسة وتنقلب مثلا أعلى ، ولا تعدم أمة فى التاريخ مثلا أعلى كان لها .

فالنزعات القومية والوطنية التى تثور فى هذه المجتمعات هى رد فعل ومقاومة ورفض لقبول تقويم الحضارة الغربية لحضاراتها ، ولطريقة حياة شعوبها .

---

(١) اقرأ كتاب (الدراسات المثلى لنوع الانسان) تأليف ستيوارت نشميز ـ ترجمة : محمود ابراهيم الدسوقى .

ان مشكله التنميه هى ان (المجتمعات النامية تريد ان تجمع بين مثاليات الماضى الذهبى ، وبين مزايا التكنولوجيا الحديثة) (٢) .

(وفى المجتمع العربى لا تخطىء أن تجد الامثال فى كثير من ألوان السلوك القومى ، وفى القـــــرارات السياسية ، وفى الايديولوجيـــات ، وفى الآثار الادبية والفنية ، وكلها تحمــل طابع الاعتزاز بالتراث العــربى ، وبأمجاده ، واستعادة تاريخه الحضارى فى مواقعهـــا الجغرافية التاريخية) ص ٣١٣ .

محنة الاختيار بين التحديث والتاصيل :

واجبنا ان لا نخلط بين النمو الحضـــارى المتــكامل الاصيل والثابت من ناحية والاشكال المشاهدة للتحديث، دون ادخال تغييرات عميقة فى المجتمعات . من ناحية أخرى .

مشكلة الثقة بالنفس او عقدة الخواجه :

استلهام الماضى والامتداد به مع تطـويره واستيعاب المعاصرة .

التباين الواسع بين الاجيال .

الشتات النفسى :

بين القديم الأصيل والجديد الافرنكى .
بين قيمة العمل اليدوى وعائده .
وبين الوظيفة المنظرية .

ومن آثار حضارة الصناعة وتقدم العلم يعانى أنسان العصر وخاصة الشباب من :

الاغتراب :

وهى مشكلة فجرها سنة ١٩٥٦ كتاب كولن ويلسون
Colin Wilson « اللامنتهى » . The outsider

والغريب نفسيا حين يبحث كما يقول جوركى فى مقدمة الشريد عن مكان مريح فلا تجده يحز الالم فى نفسه ويتلاشى هذا الرجل اما فى صلح زرى مع مجتمع يبغضه أو تماطى المخدرات والانتحار

أو ظهور المذاهب العبثية واللامعقول .

ولكن لماذا نحن غرباء فى وطننا ؟

هزتنى أنة ألم ، ورنة حزن أرسلها الدكتور حسين مؤنس فى مقاله : « غريب فى وطنى » . واذا كان مثل هذا الرجل المعلم الاستاذ ، وفى هذه السن ، غريب فى وطنه أو هذا احساسه فانها لدلالة تستوجب الوقوف عندها طويلا .

العالم غريب فى وطنه لانه افتقد القيم الاصيلة .

والأمى غريب فى وطنه .. فكما أن المعرفة قربى ورباط ووثاق فان الجهل وحدة وغربة وانغلاق .

الواجد غريب فى وطنه لان حكم الهوى سيف مسلط على الرقاب .

والفاقد المطحون غريب فى وطنه لأن الفقر فى المال ، فقر فى كل شىء كما يقول المازنى أستاذنا .

وأهل الخبرة غرباء فى وطنهم لان المطلوب والمرغوب أهل الثقة من حملة القمـــاقم ، وعازفى الدفوف ، والكتبة الاوركستراليين .

حتى الفلاح الصقنا بالارض ، وأشدنا تعلقا بهـــذا التراب وارتباطا ، عرف الهجرة والنزوح بأحجـــام جماعية .. ويبدو أن هجـرة ما يربو على مليونين من الفلاحين المصريين الى العــــراق ، في تقدير بعض الاخصائيين ، كارثة لم ندرك ، بعد ، ابعادها .. وكان الفلاح اذا انتقل الى القرية المجاورة بكي على حنين الناى وشبابة الربابة وهو يقـول « وأنا كل ما أجول التوبة يابوى ترمينى المجادير » .

الريف كله غريب في وطنه بعد ان زحف اليه ، وعليه ، التحديث والتغريب ، شـــكلا لا موضوعا .. ومظهرا لا مخبرا فتغير نمط استهلاكه وتغير نمط حياته تغيرا زائفا مسخ طبيعته دون أن ينهض به في محاولة نماء للجذور المعرقة في القدم .

والقاهرة عاصمة العواصم غدت غريبة في وطنها بعد ان غدت ، قبلا ، كرنفالا عجيبا في البناء ، والزى ، والتعليم ، وأسلوب العيش وأسلوب التفكير .

هي غريبة ومعالمهـا الـكبرى غريبة مرتين كحديقة الازبكية التى هجرتها أشجارها النادرة (٨٠٠ ثمانمائة شجرة) وكشك الموسيقى والبركة .. وجثم على صدرها جبل من الطوب لبوليس النجدة لا تجـد من ينجـدها منه ..

حتى الهرم بكل رسوخه وشموخه ، باعوا هضبته يوما ليتحول الى « لاساس فيجاس » أخرى كما قال الافاقون حين ظفروا بالصفقة السمينة والثمينة .

والنيل كاد يتغرب حين هموا بنقله تكارما وتخابلا .. ومن الخبل ما قتل .

ماذا بقى لا يرزح تحت وطأة احساس الغـــربة ؟ اذا استثنينا اثنين : الشمس .. والسماء . فشمسنا كما هى ساطعة .. وسماؤنا بصفائها ، رائعة . والسر ان الشمس والسماء بعيـدين عن أيدينـا والا كان مسهما التغيير أو التدمير .

كل شىء تاه فى الزحام .

الانسان .. والمعنى .. والقيمة .

كل شىء ضل طريقه .. حتى الضلال ضل طريقه حين تجاوز حده ، وفقد رشده فتغول وتجول غير عابىء يصنع ما يشاء بعد أن غاض الحياء .

كان المريون عندما يغتربون ، يتعزون بقولهم (غربة ومروحين) هل تصدق هذه القولة ، الآن ؟ هل المغتربون منا (يروحون) حقا ويرتاحون ويأوون الى دارهم ؟ الى الوطن الام أم ينتقلون من غربة الى اغتراب ، عذابه انكى واشد مضاضة على النفس .

حتى التاريخ .. تاريخنا غدا غريبا على الناشئة بعد ان مسخ ، وشوهت الحقائق .

حتى الشارع المصرى غدا أعجميا بعد الانفتاح الشوبسى فانتشرت فيه الأسماء الاجنبية .

عندما كنت طالبة يخطو صباى على دروب القـاهرة كانت أسماء المعالم رسمية وشعبية مصرية خالصة بل يحس الانسان ، العمـد فى مصريتهـا .. فى أبعـد الاشياء عن الســياسة او الوطنية فنجد بقالة النيل الازرق ونادى وادى النيل وأحسب ان هـذا امتـداد للنهضة الاقتصــادية التى أرسى قواعدها ، المصرى طلعت حرب فبنك مصر يتوسط القاهرة وشركاته جميعا

سهل باسم مصر أولا ثم الصفة الفنيه للشركة ثانيا فالشركة المصرية للملاحة وشركة مصر للطيران وشر مصر للغزل والنسيج .. الخ .

ومصرية الاسماء أيضا امتداد للكشوف الاثرية التي تلت كنوز توت عنخ آمون والاعتزاز بالمصرية ومصرية الاسماء أيضا . امتداد للثورات المصرية ضد المستعمر ثورة ١٩ وثورة ١٩٣٦ وكانت الجامعة مركز اشعاع وكان الازهر مصدر مقاومة تخرج منه المظاهرات • وكان للأزهر رأى . وكان للجامعة رأى ، وكان للشباب في كلا الحرمين رأى . وكان للشعب رأى هو الرأى العام ... وما أكثر ما أعتدل به الميزان واستقام المائل حتى القصة المصرية ولدت في هذه البيئة .. وهذا الجو مما أعان كما يقول محمود تيمور على يقظة الوعي بكلمة مصر •

القصة كانت أحداثها وأبطالها وأسماؤها وموضوعاتها ، مصرية صميمة . كان يستحيل في هذا الجو المشحون بالقومية والوطنية أن يجرؤ أحد ولو كان أجنبيا أن يطلق الاسماء الغريبة والغربية على كل صغير وكبير في حياتنا بل كان الاجانب يتوسلون للعيش بيننا وراء الاسماء المصرية . فأورزدى باك اسمه الذائع بيننا عمر أفندى .. ونماذج أخرى تخرج من الاسماء العربية القحة والاجنبية السافرة بالاسماء التاريخية خاصة الفرعونية فتوجت أعمالها بأسماء ايزيس وأوزوريس — حوريس — رمسيس — توت عنخ آمون — سيتى — احمس .

عندما كان الانفتاح نابعا منا اقتصادا على يد طلعت حرب ، وعلما على يد الجامعة المصرية ، ودينا على يد الازهر ، وجذورا على يد المجمع اللغوى ، وتاريخا على

يد التنقيب عن الآثار ، وهبـــات قومية على يد دعاة الاستقلال عندما كانت حياتنا جدا ترتفع فيها القيم ، جدت الاسماء .. وعندما صارت حياتنا للنهب والسلب، رتعت الاسماء كمن رتعوا .. وغدونا فى عصر الانفتـــاح انغازى والبوتيكى ·· كل الاســـماء أجنبية وأصــــحابها مصريون ·· بل المحزن أن هؤلاء يحرفون أسماءهم العربية بل الشعبية لتبدو أجنبية مثل : عليش عليشكو ، وقرنى كرونيك ، وسيدهم سيدان ·· هات يا زمان ·

كان قدماء المصريين من اعتزازهم بهذا التراب يقولون ان الشمس فى مصر ، غيرها فى أى مكان .. ولكننا قلبنا النظرية ففى العصر التركى ، كل كبير فى عيننا « عثمانلى » وفى الاحتلال الانجليزى « الافرنكة » ، وفى عصر الانفتاح وهو بصورته الاستهلاكية الامتصاصية أشد ألوان الاستعمار وبالا ، نقول على البراق (مستورد) أما ما ينبع من مصر فهو (بلدى) . وكان أولى بنا لو وعينا ، أن تكون كلمة (بلدى) تاجا لكل رائع غال .

اليست غربة موجعـــة ؟ على الوجـــدان المصرى الصادق ؟ نحن نشخص الداء لاننا نعيشه ونحس وخز الالم ولكن لا نريد أن نكون المريض الذى يجأر بالشكوى وينفس فى كلمة (آه) تند عن شفتين مقهورتين .. اننا نريد معرفة السبب وهو عندى :

غياب الديمقراطية .. وحين يغيب النور الكاشف ، ترتع الفوضى وتختفى السببية وتفقد الاسماء مدلولاتها وتغترب القيم المضيئة .

علما بأن الديمقراطية ليست تجربة أو هبة او فضلا

وفطرة قطـــــرة انها حق كامل وطبيعى للشعب ليست موضوعا للمقارنة على سبيل التيه أو التمويه وكما تكون الديمقراطية صـــــمام الامان للشعب . يكون القهر المضروب والصمت المطلوب . صمام أمن ـ مؤقت ـ للجناة والعتاه . والبغاه . ومفتالى المعـــــانى الشريفة والاشياء الجميلة فى حياتنا فلا تعود حياة نتفياها بل تغدو أياما نقضيها ، ومرارات نتجرعها حين يحتسى الآخرون الامانى والعرق كأسا دهاقا .

غياب الديمقراطيـة ايذان للهـــوام والفـيران البشرية فتخرج من جحورها الانتهـــازية والوصولية والسلب والنهب والقمع والاختطاف والاعتساف وقطع الطرق او البلطجة النفوذية . ليس لشىء قاعدة بل قصارى الامر سباق محموم لا تهم فيه الوسيلة أو مقاييس الاخلاق والضمير وهنا تهتز القيم وتختل المقـــاييس ، وينتاب اليأس والشك . النفوس بل يزلزلها ويسقط أثناء هذا من يسقط من ضعف المقاومة أو هول الصراع بين الخير والشر فى النفس البشرية ... أما من عصم ربك فانه يحس الاغتراب . والغربة فى الوطن أقسى وأقصى الوان العذاب .

هناك فى التـــاريخ الوان من الاغترب كالذى احسه الانبياء والمصلحون وأصحاب الدعوات ، كان يدفعهم الى الهجرة أو الرحلة ولكن الى حين . هاجر الرسول ليحيا .. ثم عاد ليكون العود أحلى اذا جاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

ورحل الشيخ محمد عبده وجمـــال الدين الافغـــانى

وأصدرا فى باريس « العروة الوثقى » ولكن ..
احتمـال الأذى ورؤية جانيه
غـذاء تضـوى به الاجسام

ويعانى الشباب من :

فتور العلاقات الانسانية :

فى عصر ملىء بالتـكالب والصراع والانعـزالية والانانية .

الشك :

بدلا من أن يقود الاكتشافات العلمية الى الايمـان بالخالق الاعظم ، جرفت كثيرا من النفوس الى منزلق فضاع أصحابها حين نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

وعانى انسان العصر من الضياع .

أزمة الشباب والتقدم العلمى :

حتى فى حالة اجتهاد الانسان المصرى (الشاب) فان زميله فى الأمم المتقدمة يستطيع من خلال الوسـائل المعينة ، كالعقل الالكترونى أن يحقق نتائج اضبط وأسرع وأشد ابهارا .

(فى الحقيقة يصعب على المرء كما يقول الاستاذ زهير الكرمى أن يتصور كيف يمـكن أن يتحقق كثير من الانجازات الضخمة الحـديثة فى ميادين العـلم والتكنولوجيـا بدون العقـول الحاسبة الالكترونية . وقد أصبح من المعروف ان عقلا حاسبا الكترونيا يستطيع أن ينجز فى ساعة من الزمن ما لا يستطيع عدد من العلماء انجازه فى سنة عمل متواصل) .

كما مكنت العقول الحاسبة الالكترونية العلماء وغيرهم من متابعة موضوعات بعينها فى ميدان بحثهم أو اختصاصهم دون حاجة لقراءة مئات الصفحات من المقالات والابحاث المنشورة فى دوريات ومجلات علمية . فكل المعلومات التى تنشر تختزن فى عقول الكترونية خاصة . وعندما يريد باحث أن يطلع على احدث ما نشر فى موضوع اهتمامه أو فى زاوية محددة منه فان بوسعه أن يطلب من العقل الحاسب الالكترونى ذلك فيقدم له الحاسب ما يشاء فى فترة وجيزة ، وبذا لا يوفر الباحث الوقت فقط ، بل يكون بمقدوره أيضا أن يركز جهده وتفكيره على الموضوع والفكرة بصورة افضل) . صفحة ٢٩٠ .

ومما يزيد فى تعقيد المشكلة المعقدة أصلا ويجعل الانسان اعجز من ان يواجه كل هذه المتغيرات فى حياته وبيئته ، أو أن يجارى سرعة حدوثها ، ان فى الانسان دافعا قويا يدفعه الى مقاومة التغيير) ص ١٩١ .

ادبى وعلمى :

(كما يزيد من حدة المشكلة ان العلم والتكنولوجيا يتقدمان ويتطوران بسرعة مذهلة ، بيما الادب والشعر والموسيقى والفنون وعلم الاجتماع والسياسة والاقتصاد أو ما يعرف بالدراسات الانسانية ما زالت تسير فى تقدمها وتطورها سير السلحفاة نسبيا ، مما خلق فى المجتمعات المعاصرة حالة من التضاد بين ثقافة العلم والتكنولوجيا من جهة ، وثقافة الدراسات الانسانية من

أخرى ـ وهي الحالة التي اسماها « س · بي · سنو » اسما ذاع وانتشر وهو « الثقافتان » .

(ومن الحيوى كما يقول الاستاذ الكرمى ان تمتزج الثقافتان في الانسان الواحد عالما كان أم أديبا . وقد ذهبت مثلا في الاوساط المثقفة المقولة بأن الاديب الذى لا يعرف القانون الثانى من قوانين لديناميكية لحرارية ليس أهلا لان يسمى أديبا .

ومن هنا كانت دعوة « سنو » ـ سي . بي . سنو ـ لهذا المزج في مناهج الدراسة حتى الجامعة . وهى الدعوة التى لاقت قبولا فى العالم المتقدم وبدأت المدارس والجامعات تطبيقها فعلا . فصار على الطالب الذى يتجه لدراسة العلوم والهندسة والطب أن يأخذ مقررات معينة فى الدراسات الانسانية ، وكذلك صار لزاما على الطالب المتخصص فى أية دراسة انسانية أن يدرس مقررات فى العلوم البحتة والتطبيقية .

وهذه الدراسات والمقررات يجب أن لا تكون مجرد مقررات يمر بها مرور الكرام ، بل يجب أن تحور وتطور بحيث تهدف الى خلق الوعى الثقافى الانسانى فى العالم التكنولوجي وخلق الوعى الثقافى العلمى وأساليب التفكير والبحث العلمي وأثره على المجتمع فى الاديب الفنان والفيلسوف المفكر .

ولكن مناهجنا لا تتابع التطور فى العالم ولا تواكبه . انها مشغولة بالخطب العنترية التى لا يكتبها أصحابها .

التعلم :

وهناك التغييرات التى تتصل بالوضع التعليمى المدرسى

وغير المدرسى وارتفاع عدد المتعلمين والمتخصصين وزيادة التقدم التربوى عامة مع ان هذه الزيادة لم تكن دائما زيادة نوعية بل فى كثير من الاحيان أصبحت زيادة كمية مع مظاهر كثيرة للضعف فى النوعية والاثر (١) .

الشباب :

لا يتلقى تعليما على وجهه المثمر لزيادة عدد الطلاب مع قلة الوسائل ، واذن فالنتيجة واضحة وحاسمة ، وهى :

شباب لم يسلح بالتدريب العلمى الصحيح ، يوضع أمام طرق كثيرة العراقيل ، فماذا يصنع الا أن يلجأ أصحاب الحيلة منهم الى الوصول بطرق أخرى غير طرق الكفاءة العقلية والعمل المنتج . المعهد القومى ص ٦٢ .

اسر النظريات :

حياتنا الفكرية بصفة عامة تتحرك فى اطار تقليدى يجعل الاسبقية للمبدأ النظرى الموروث على التجربة العملية الحية كما يقضى المنهج العلمى .

مرجعنا فى الصواب والخطأ هو عبارات محفوظة عن صفحات الكتب قديمة كانت تلك الكتب أو جديدة لا ما تتكشف عنه تجربة الواقع الفعلى .

ملاك الامر نصوص تحفظ .

استيعاب التكنولوجيا :

ـ فى جميع الجوانب الفنية يكون الحكم لاصحاب التخصص العلمى أو المهنى .

(١) تقرير معهد التخطيط القومى ، ص ٤٩ .

ويتحتم :

ـ اسناد العمل الى من يحسنونه بغض النظر عن أى اعتبار آخر .

ـ حساب النتائج الاقتصادية والاجتماعية هو وحده اساس الاختيار بين البدائل . ص ٦٧ المعهد . فهل نفعل ؟

نظرتنا الى العلم على انه يقينى تعوق الاجتهاد واعادة النظر فيه :

(لا يزال الفهم السائد بين العامة وبعض الخاصة ، انه مجموع من الحقائق اليقينية النهائية .. وان العلماء يطورون العلم عن طريق اضافتهم الى هذا المخزون وليس عن طريق اعادة النظر فيها) المعهد ص ٧١ .

وبعانى الشباب من : الشكلية التسطيح .

المسألة ليست لتعديل الملكية الزراعية أو تعميم مياه الشرب ومحـو الامية ، بل انه يتطرق بعمق الى معنى الحياة والمسلك والسلوك والعقائد ويزاوج بينها (أو يستبعد منها) الاثر التكنولوجى الحاضر والمستقبل ويقيسها بالنظر الى الموارد الطبيعية المحدودة والمتجددة والى العادات والتقاليد والفلسفات القائمة أو المستحدثة) ص ٥٣ .

الامية :

ـ ليس القراء والكتابة وحدها . هناك :

ـ الامية الثقافية .

ـ الامية الدينية .

الجامعة :

ـ التتبيع على مستوى الاساتذة .

- التجهيل على مستوى الطلبة .
الشباب فى مصر خاصة تلتقى علمه حربان ..
حرب من الخارج :
روسيا : تتسلل الى الدين والتراث .
أمريكا : بحوث علمية تجسسية .
عن السكان .
توزيع الموارد .
خصائص تيلة القطن المصرى .
نتائج الابحاث لا تبقى فى مصر بل تذهب الى امريكا .
حرب من الداخل :
الاعتداء عليه بالشعارات .
بالاعلام المسخى . والمسخر .
بالمانشيتات العريضة .
باجهزه الدعاية الاوركسترالية .
بالمسلسلات .
بالاغانى البلهاء .
بالمطولات المقررة والمكررة .
بالحشدية وسوقه قطيعا فى المواكب والزفات .
بالخوف .
بالضيق حتى سجن عمره فى الطوابير .
غدت الجمعية جزءا من يومه وغده .
والامام الشافعي يقول (لا تستشيروا من ليس في بيته دقيق فان عقله غائب) .
الاعتداءعليه من القوى العاملة التى تطوح به :
فى غير موضعه .
فى غير تخصصه .
فيغدو لقى ملقيا بلا دور .

ان الرقى أن يكون لكل انسان دور لا يغنى غناء أحد فيه .
ليس الرقى الادوات الحديثة .

ومن العجيب ان الحكومة تدقق فى الاختيار عند دخول الجامعة ثم تطوح الخريجين كيفما اتفق بعد هذا .

التوترات الاجتماعية :

التوترات الاجتماعية ويحسها أكثر المثقفين الذين يرون البعد الثالث لزحف أمريكا الاقتصادى والصناعى والثقافى .

(وقد صور تقرير لجنة اليونسكو عن التوترات الاجتماعية فى الهند هذه المشكلة تصويرا دقيقا حيث ذكر فيما يتعلق بالمساعدات الامريكية للهند هذه الملاحظات :

ان الهند تريد ، فيما يبدو ، رفع مستوى حياتها . وهى تحب المساعدات الفنية ورءوس الاموال الامريكية ، ولكنها فى الوقت نفسه ليست على استعداد ان تقبل نماذج الحضارة الغربية جملة وتفصيلا دون مناقشة ، فهى تؤثر أن تلتقط وان تختار العناصر الحضارية التى ترتضيها وتناسبها ، بدلا من الاقبال الكامل على التقاليد الغربية التى تنبع من نمط الحضارة الصناعية) ص٣٠٨ .

فاستعمال الهندى كما يقول Morris لنفس التراكتور الذى يستعمله الامريكى ، واستنباته لنفس البذور التى يستنبتها ، ليس معناه ان يهدم نفوذ

التأثير الحضـــارى القديم ، ويجعل من الرجل الهنـــدى رجلا أمريكيا (١) .

هجرة الكفايات :

« فقد الشركات مهارات تجارية وصناعية مهما قيل عنها من الناحية الوطنية فقد كان لها دورها الكبير فى دفع عجلة الانتاج والتصدير . وقد هاجر الى الخارج الوف من اليونانيين والأرمن والايطاليين والمصريين كان كل منهم مدرسة تؤثر فيمن حولها وتدرب العاملين فيها وقد أنشأوا مثل هذه المدارس فى بيروت وأثينا ومونتريال وغيرها) (٢) .

يعانى الشباب من الروتين . .

ـ جمود الروتين .

ومركزية المصالح والوزارات .

« فطالت الاجراءات وتأخرت ساعة الفصل وصعبت الدراسة العميقة للموضوعات . لان للطـــاقة البشرية حدودا . فانعدمت الثقة وضعفت الشخصية وماتت روح المسئولية وانحصرت الخبرة والتكوين الفنى فى أشخاص قليلين فتوقف النمو الادارى) ص ٢٣

اللوائح :

اللوائح ضرورية لتحديد العمل وتوجيه مساره ولكن تخلف اللوائح يقتل العمل والعامل .

---

(١) Morris E. Opler
The Problem of Selective Culture in Progress Under developed Areas. P. 126

(٢) د. سعد أبوالنجا فى كتب (ولكن كيف) ص ٣٥ ـ ٣٦ .

واللوائح الحكومية :
عتيقة بالية معقدة غامضة .

كثيرة ومطولة يتعذر الالمام بها حتى لقد صار فى كل مصلحة او قطاع اخصائى معروف ستفتى فيها دون سواه .

جامدة متحجرة تفترض فى كل عامل انه غير امين فتحيط تصرفاته بشتى القيود . وتفترض انه جاهل فتحيط عمله بشتى الاجراءات التى تحركه دون تصرف .

تجسيمنا الخطأ وتجريمنا المخطىء :

وراء هروبنا من المسئولية ..
تعدد الامضاءات على مقشة للنظافة .
نسينا الحديث : من عمل فأخطأ فله أجر ومن اصاب فله أجران) فى عملية تشجيع للمبادرة فى العمل وفى عطف على خطأ التجريب .

اهل الثقة واهل الخبرة :

لابد من بث روح الاستقرار فى نفوس الناس بافهامهم ان الاصل فيهم جميعا أنهم أهل ثقة الا حين يثبت غير ذلك فلا فضل لمصرى على مصرى الا بالكفاية .

لقد مضي على قيام الثورة (ثلاثون) عاما ولا يمكن ان تبقى الثورة نظاما دائما من أنظمة الحكم) .

الى متى عزلة المثقفين وعزلهم ؟

لا يمكن أن يستمر أسلوب أهل الثقة وأهل الخبرة حيث يسود الجهل والعشوائية والمزاجية .. لا يمكن أن يستمر هذا الى يوم القيامة والا قامت القيامة قبل موعدها .

اختناق الابداع :

(الابداع لا يمكن أن يزدهر الا فى مناخ من الحرية يشجع اقتحام المستقبل بكل ما يحمل من صعاب ومخاطر وما يتطلبه من تحديات التغيير) . تقرير معهد التخطيط القومى ص ٧٠ . فهل مناخنا يزدهر فيه الابداع ؟

الزحام :

الشباب يعانون من الزحام .

كانت مصر مثلا فى أوائل القرن العشرين عشر ملايين وفى سنة ١٩٥٢ عشرين مليونا . طبعا قفز هذا الرقم سنة ١٩٧٦ الى ٣٦٦٢٦ر٢٤٠ر٣٦ . أما التعداد الرسمى (١) بالقاهرة سنة ١٩٠٧ فكان ٦٦٠ر٠٠٠ ستمائة وستين ألفا والآن يربو على عشرة ملايين . ندع الارقام الى المعنى .

لقد جعلت اليابان من العدد عدة وهو فى مصر شدة لأن الفرد اذا لم توفر له الدولة حقه من التعليم والصحة والعمل فهو محكوم عليه بالقتل الادبى والانسانى بل محكوم على مجتمعه بالقتل . فان محنة حرق القاهرة لم يقترفه مثقف أو انسان مهذب أو أب مسئول أو موظف له عمله ‥ بل ارتكبه الزائدون عن الحاجة وعن العدد ممن تقذف بهم الارحام الى الشارع أفواها مفتوحة بلا انتماء فلا مكان لها فى البيت الضيق أو فى المدرسة المكدسة او فى العمل .. الخ . والكائن اذا اقتصر على فم مفتوح فهو لعنة تحيق ان لم يجد ما يأكله ، عصف بكل شىء .. فشريعة الشارع هى شريعة الغاب .

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء (التعداد العام للسكان والاسكان ١٩٧٦) .

قائض النسل معناه الحــرف الطفيلية التى تبـدأ من الاعمال التافهة وتتدرج منها الى تاجر شنطة فصاحب بوتيك فصاحب ملهى فتاجر رقيق .. الخ . أو زبال فتاجر خردة فمنتج سينمائى يهـــدم القيم بالترخص والابتذال .. لانه أصلا لا يعرف الفن أو حرمته .

تسود المجتمع على أثر الانفجـــار السكانى الحرف الطفيلية فى حين تكون حاجته ملحـــة الى الصـــــناعات والحرف النافعة التى عاشت فى بلدنا على قيم تقليدية واصول وقواعد .. منها ان كل حرفة لها معلم وصبيان يتعلمون عليه ومنه ولكن تدخـل الحكـومة بقوانين التأمين جعلت أصحاب الصناعات يرفضون الصغار تخففا من أعباء تأمينهم فيتلقفهم الشارع وصناع الجريمة .

قوانين قوانين :

هل من قانون يؤمن الزوجات حتى لا تتـكثر المرأة بالاولاد استشعارا للطمأنينة ؟ واثباتا وتثبيتا للوجود .

ان الكفالة الشاملة فوق طاقة أى حكومة فضلا عن انها تشيع التواكل والبطالة المقنعـــــة وتقتل الطموح والتنافس وانتاج الافضل .

هل من قانون للقوى العاملة أو الخاملة التى تملأ المكاتب بالموظفين حتى العاشرة صباحا ثم الشوارع حتى آخر النهار والليل .

والانفجار السكانى ظاهـرة عالمية بل أن الدز هكســـلى يعتبرها زيادة مفاجئة فسكان القرن الاول الميلادى كما يقول كانوا (يقـــدرون بمائتين وخمسين مليـــونا ، على حين ان عدد السكان اليوم وهو ثلاثة آلاف مليون نسمة

يقدر له ان يضاعف فى اربعين عاما فقط وترتب على هذا التفجر البشرى نمو فظيع فى كبريات المدن وكان من نتيجة ذلك أن ملايين من أطفالنا لا يعلمون شيئا عن الطبيعة : لا يعرفون كيف يكون القمح فى حقوله ولا كيف تكون شجرة الفاكهة ، بل ان ملايين لم يروا فى حياتهم بقرة الا فى الصورة) .

مشكلة الزواج :

ومشكلة الزواج التى تعسرت لظـــروف الاقتصـــاد والاسكان ونظرته الى المرأة مما حرمه العيشة الطبيعية الناعمة عيشة الزوجية كما يقول الاستاذ أحمـد لطفى السـيد (١) وفرض عليه عيشة العزوبية المشوهة غير الطبيعية .

تخلف القرية :

وكلنا ينتمى أولا الى قرية من القرى .

انفصام الاسرة أى أبنــاء المدينة عن أبناء القرية فى الاسرة الواحدة .

اصلاح القرية : لذاتهـــا .. لحقها .. ثم من أجل العاصمة .. ان حل مشاكل القــاهرة يبدأ من الريف والا استمر الزحف على القاهرة واستحكمت اختناقاتها مهما تعددت الكبارى والانفاق .

الشباب والدولة :

وهنا تستحكم مشكلات الشباب .

انه يعانى من : تهديد الســـياسة للادارة أو خوف الادرة من السياسة .

(١) المنتخبات ، ص ١٤٩ .

(النظام الاداري يستند الى النظام السياسي كما يستند الباب الى الحائط . فاذا التصق الباب باطاره وأبى أن ينفتح .. فقد تكفي ضربة قوية لفتحه) .

الرقابة :

على الانسان المصري في المواقع الصغيرة حين يصاب بالصمم والخرس في المواقع الكبيرة والخطيرة .

(لقد ثبت ان حوادث السيارات في أثناء الحرب بسبب الظلام في الشوارع قلت ، لان السائقين كانوا يحتاطون في القيادة . وثبت ان متوسط أعمار المرضى بالسكر اعلى من السنوى العام للأعمار بسبب احتياطهم في الاكل . فالرقابة عمل سيكولوجي قبل أن تكون عملا ماديا . وليس الغرض منها ضبط المخطيء أو المختلف بقدر ما هو تفادى الخطأ والاختلاس) ص ٣٢ .

يقول المهندس سيد مرعي في كتابه (لكي نربح المستقبل) ان الدول النامية (تعود مشكلاتها الى افتقارها الى التنمية وعدم توفر رءوس الاموال او التكنولوجيا الحديثة . وبالتالي الى عدم وجود الجهاز الانتاجي المتقدم اللازم لتشغيل الموارد المعطلة ، ومن الضروري أن ننبه هنا الى ان المشكلات التي تعاني منها البلاد النامية مشكلات تعود الى ذات البنيان الاقتصادي ، وهو ما يعني أن علاجها يتطلب تغيير هذا البنيان نفسه وخاصة عن طريق خلق الجهاز الانتاجي المتقدم) ص ١١٨ .

لم يذكر الانسان ولم يذكر استغلال النفوذ مما اختلت معه القيم والمقاييس واهتز معه الانسان والمجتمع وبالتالي يتطلب تغيير بنيان آخر وليس البنيان الاقتصادي وحده .

لماذا تقدمت اليابان وهي لا تمتلك موارد زراعية أو

معدنيه ذات قيمة اقتصـــاديه كبيرة ؟ لماذا تقدمت اليــابان وعدد سكانها ١٠٠ مليون (مائة) لا أربعون مليونا يتخذون شماعة للفقر والتخلف باسم الانفجار السكانى ؟

ضعف المشاركة الشعبية :

يمكن ارجاع هذه الظـاهره كما يقول الاستاذ نادر الفرجانى الى فقدان الجماهير العربية للثقة فى العقائد الاجتماعية والسياسية التى تبنتها الانظمة العــربية خلال العقود الثلاثة الماضية للأسباب الآتية :

١ ــ التفاوت الكبير بين المعلن والواقع .

٢ ــ تفاعل زيادة ضغط الظــروف الاقتصــــادية على الناس . مع زيادة انماط استهلاكية مستوردة من خارج المنطقة لا تمثـــل بالضرورة حاجات أساسية فى بلدان الوطن العربى . مما أدى الى انصراف النــاس لتدبير شئونهم المعاشية فى اطار نسق قيم فردية يقوم عــلى تعظيم الممتلكات المادية الخاصة .

٣ ــ تدنى الاحساس بالانتماء ومعاناة الاغتراب فى اقسى صوره وهى احساس المواطن بالغربة على أرضه . مما يعنى غياب الحــــافز الاهم للاستجابة الاجتمــاعية الاقتصادية فى دفع مشروع قومى للتنمية .

٤ ــ قمع المعارضة وضرب الارهاصات الديمقــراطية التى كانت تلوح فى أفق بعض البلدان العربية .

انحدار القيم :

ان تحولا خطيرا فى القيم قد ظهر فى حياتنا ابان الفترة الاخيرة وذلك لان طرق الاختيار فى مجال السلوك الفعلى قد طرا عليها تغيير حاد ملحوظ . .

ومن هـذا أمثلة العـزوف عن العمل ما دام الدخل مضمونا بغيره .

الاسـتخفاف بالاتقان حتى اذا عمـل طالما كان الكسـب متساويا بين حالتى الاتقان والاهمال .

فضلا عن الجوانب المدمرة من رشـــوة واختلاس وانحراف وغير ذلك .

الانحلال الخلقي في المواقع الكبيره :

ورد فى المجلد الثالث من التقرير عن مؤتمر جرائم الرشوة والاختلاس والانحراف الادارى (المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية) ما يفيـد بأن جرائم الاختلاس فى السنوات الثـلاث من ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ (٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢) لم تزد عن سبعين حالة ، حتى اذا ما جاءت سنوات الستينات قفزت الى نحو أربعمائة حالة فى كل سنة على حدة .

ثم جاء السبعينات لتمضى فى طريق الزيادة (راجع ص ٢١٩ من التقرير المذكور) .

وان نسبة من اختلسوا مبالغ كبيرة كانت أكبر جدا من نسبة المختلسين لمبالغ صـغيرة : ليست بالضرورة بل الرغبة الجامحة في النجاح غير المشروع على أساس ان النجاح مقياسه قوة المال كما يقول التقرير .

وكذلك كان من المغريات للاختلاس ضعف الرقابة وعدم التعرض للخطر .

نسبة المختلسين لضعف الرقابة ٤٠٪ .

نسبة المختلسين لضرورة العيش ١٣٪ .

وأوضح التقرير ان التعقيدات المكتبية (البيروقراطية) قد ساعدت على نجاح المختلسين فى اتمام عملياتهم فى ظلام الثنايا الكثيرة التى تتخلل الطريق .

قدرة الذين استطاعوا الوصول الى مراكز السلطة والنفوذ ، واستطاعوا الوصول الى أهدافهم فى الثراء السريع ، وعجز الباقين .

فكانت النتيجة المحتومة لذلك العجز ان يلتمسوا طريق الوصول الى الهدف عن غير الطريق المشروع ، الذى هو الانجاز الحقيقى بالعمل ، أى انهم أرادوا الطيران الى أهدافهم من فوق رءوس العاملين ، فكانت حالات الاختلاس وحالات الرشوة وغيرهما من أمثلة الانحراف) .

تقرير معهد التخطيط القومى ، ص ٦٠ .

الاعتداء الفوقى على المال العام :

وقوع السوق فى قبضة المحتكرين الذين يوجهون الاقتصاد توجيهــا يتفق مع منافعهم الشخصية بغض النظر عن المنفعة القومية .. الى آخرما هو معروف من الآثار السيئة التى تصيب البنيان الاجتمــاعى حيثما انتشرت الرشوة وسهل الاعتداء على المال العام . المعهد القومى ، ص ٦٢ .

وقد تعرت نماذج صارخة عندما أتيح الكشف عنهــا ولا يزال وراء الاكمة ما وراءها .

لماذا حدث الدمار؟

لماذا حدث الدمار يومى ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ الذى سموه فى محاولة هروب من الحقيقة انتفاضة حرمية ؟ مع ان اللصوص العتاة مطمئنون لا ينتفضون ولايحزنون.

لماذا حدث الدمار ؟ سببان رئيسيان :

١ ـ فقدان القيم لانتشار الانتهـــازية والاستغلال وسيطرة النفوذ .

٢ ـ فائض النسل طالما لا يقابله فائض فى الموارد يجعل من العود عدة لا شدة .

وقد تكلمت عن الزيادة السكانية يأتى بعدهما السبب الظاهر والمكشوف أي الايدى التخريبية التى دبرت .

هذه الايدى حتى قبل أن تكتشف كان سير الاحداث يشير اليها . وقد تعودنا ان ندرك السبب فى كل محنة، متأخرا . وقد آن الاوان أن نتعمق الامر اكثر ...

ان الوحل لا يعيش الا فى مستنقع .

وان السوس لا ينخر الا فى جذوع منخوية .

وان الايدى التخريبية لا تعمل عملها الا فى مجتمع يفتقد القيم الحقيقية للدين وللوطن . مجتمع يزيد أفراده عن امكاناته . مجتمع يفتقد القدوة والمثل الاعلى .

أما القيم فرسالة البيت والمدرسة والمسجد والكنيسة. ندع قليلا البيت الآن فان الامام الشافعى يقـــول :

« لا تستشيروا من ليس فى بيتة دقيق فان عقـــلة غائب » . كما أشرت سابقا .

والبيت المصرى عقله ليس فى حالة غياب فقط ولكنه فى حالة غيبوبة أيضا .

نتجه الى المدرسة اذا أردنا علاجا جذريا من الاساس . هل تدخل مصر وجدان الطفـــــل المصرى عن طريق المدرسة ؟

هل تغرس المدرسة فيه الانتماء ؟

أبدا .. ان الوطنية فى مناهجها نشيد يحفظه الطفل لينساه .. أو خطبة سياسية ! ولا تقرر الخطب الحكومية فى أى بلد من بلاد العالم المتقدم أو المتخلف الا عندنا .

ان الوطنية (انتماء) يغـدو فيه القلب المصرى متعلقا بكل ذرة تراب فالشارع ملكه ، والمركبات العامة ملكه . والكبارى ملكه .. والاعتداء عليها اعتداء عليه .. عندئذ لا يفلح معه تحريض مفرض ، أو اغراء مأجور ، واستهواء شعارات مدفوعة .

نأتى الى الدين الحنيف ماذا تعلم المدرسة والبلاغة واللغة هى المقررة على أطفال الاعدادى ومن دونهم .. ان الدين سلام فى النفس وسلام مع الناس .

والدين عمار فى النفس وتعمير للحياة .

ليس من الدين التحطيم والاعتداء والايذاء .. الدين يحترم الملكية مع صيانتها بالتكافل الاجتماعى فالقادرون فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والـدين ليس البر عنده أن نولى وجوهنا قبل المشرق والمغرب (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين

وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى الباساء والضراء وحين اليأس أولئك الدين صدقوا ، وأولئك هم المتقون) .

والدين يحترم العامل بقدر العمل ببسط الرزق لمن شاء ويقدر .

والدين يأمر بالشورى والمجادلة الحسنة .

والدين يحترم العقل والتفكير فريضة اسلامية . فالتبعية العشوائية مهانة لصاحبها والغاء لعقله ووجوده .

فلو ان المدرسة المصرية أرست هذه القيم الدينية فى النفوس صغارا ، لصعب على التضليل والتكفير ، قياد أصحابها كبارا .

هذه القيم رسالة المسجد والكنيسة انفتاحا بالدين ، بدلا من قوقعته فى الطقوس والنصوص الخاصة حين تلتقى الاديان جميعا عند الخير والبر والرحمة .

بقيت كلمة ليست أقل خطرا ...

من الدين أيضا القدوة الحسنة .

ومن الدين مشاركة الجموع فى همومها والاحساس بها ، واحترام مشاعرها ، والوفاء بحقوقها السياسية والاجتماعية .

ومن الدين حكمة القصاص من العابث والمنحرف والمستغل مهما كانت صلاته أو صفاته حتى لا يصبح

التسيب قاعدة والفهلوة شطارة ، والنهب فرصة فييأس الامين والجاد والكادح . لا يقرأ الناس فى الصحف الاجنبية ما يذهل ثم يرون الفاعل يملى له .

تفشى العيوب وتفاقمها :

(الرشوة والاختلاس والاهمال والتغيب عن العمل بلا مبرر واللامبالاة بالنسبة الى الصالح القومى العام وضعف التعليم وانسداد الطريق المشروع امام المتعلمين وما يجرى هذا المجرى من ظواهر ، مما يقوم بيننا اليوم ويؤثرفى تقدمنا وانتاجنا لم يكن دائما بمثل القوة التى هو عليها اليوم ، وشاهدنا فى ذلك ، البحوث الكثيرة التى أجريت فى هذه الميادين ودلت على ارتفاع نسبتها ارتفاعا مفاجئا فى السنوات الاخيرة (راجع تقارير المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، فضلا عن بحوث كثيرة أجراها طلاب الدراسات العليا فى الجامعات . نظم الاسعار والاجور التى تفرضها سلطة مركزية تؤثر فى سلوك الافراد ونظرتهم الى الحياة وتحصر تطورهم وتفكيرهم فى قنوات معينة دون غيرها) . المعهد القومى، ص ٥٦ .

بمعنى هل هناك توازن أمثل بين حرية الفرد (الفكرية والاقتصادية والاجتماعية) وبين مقتضيات التماسك الاجتماعى ؟ .

تجميد الامة : الوصاية على الامة .. سلطة الفرد .

أى اهدار الجهود المتخصصة والصادقة فرد واحد

، له حق القبول او الرفض فى عالم السياسة وفى عالم الافكار وفى عالم السلوك والاخلاق والعيب .

ولا غرابة كما يقول تقرير معهد التخطيط القومى (أن نرى بين أيدينا اليوم مئات البحوث العلمية فى موضوعات مختلفة من شئون حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ، لكنها توضع كلها فوق الرفوف ، لنترك مجرى الامور الفعلية مرهونا بصاحب الحق فى رسم الطريق .

صنع القرار :

استئثارالحاكم بكل شىء بينما القاعدة كما يقول المركز القومى للبحوث هى (أن ينحصر الرأى السياسى فى اختيار « الاهداف » ثم يترك للمهنيين والحرفيين بعد ذلك كل ما يتصل بالوسائل المحققة لتلك الاهداف) . معهد التخطيط ، ص ٦٧ .

يعانى الشباب من :

الطوطمية السياسية :

(كل نظام يزعم لنفسه خلودا وأبدية يصعب تبريرها ، وعليه فكل النظم المعاصرة تضطهد العلوم الاجتماعية ، وتضيق عليها بطريقة او بأخرى ، عندما تمس هذه العلوم مصالح وهياكل هذه النظم) ص ٧٢ .

اداره الفرد او حكومة الفرد :

التى يصفها ف . ج . روتلز برجر بأنها (الادارة التى ترى ان أكبر تقدمة تقدمها لاولئك الذين يعملون لها هى زيادة الاجور . وترى الادارة انها تعـــول ، ولا تيسر فحسب طريقة للعيش ، وان الجماعات غير الرسمية فى المصنع اما رديئة واما غير موجودة ، وان السلطة جميعها تأتى من القمة ولا يسمح بقرارات تصدر عن القاع .

ادارة كهذه تخـــــرب الانسان حين تترك المجتمع مخلوقات بشرية مضطربة النفوس مخيبة الآمال كما يقول ج . روتلز برجر فى مجلة هارفارد .

يقول روتلز برجر : « لعل أهم الاشياء جميعا هو ان نمط المدير المنتظر سيكون عليه أن يتعلم التمييز بين عالم المشاعر وعالم الحقائق والمنطق (١) .

يعانى الشباب من :

الخطب العنترية :

ازدواجية قاتلة بين القول والعمل فالخطب العنترية تتغنى بالوطن ثم تداس المصالح الوطنية وتقدم قرابين حسبة واحتسابا تطوعا واختبارا .

---

(١) كتاب (الدراسة المثلى لنوع الانسان) لواهه سمبوارت نشمر . ص ٢٠٤ .

أى التضليل والتدجيل .

والصحافة تتولى التدبيج .

والاذاعة والتليفزيون ـ الالحاح بالصوت والصورة والايحاء الذى يخرج من التلميح الى التصريح فيردد الابواق ان الشعب يستقبل أو يفرح أو يهنىء .

فلا يجد الشعب بدا من المداراه .

يقول الدكتور حامد عمار : (ومثل هذا التكيف السطحى ضرورة من ضرورات البقاء في ظروف متغيرة لا ضابط لها ولا مقدر لعواقبها . ولعل أتفه الامثلة على ذلك ما كان يقوم به المحتسب أيام الدولة المملوكية مثلا من مناداة الناس بالاحتفال بشفاء السلطان من مرض كما حدث عندما عوفي السلطان الناصر محمد بن قلاوون من كسر فى يده !! حيث استمرت الزينات أسبوعا كاملا وظلت الجوقات بالبشائر تضرب والطبول تدق ولم يبق أمير الا عمل فى بيته فرحا) ! على حد تعبير صاحب السلوك .

كذلك نادى المحتسب باقامة الزينات عندما شفى السلطان الغورى من رمد ألم بعينيه وقد أسهب المقريزى فى وصف الاحتفال بهذه المناسبة ص ٩٠ .

حقيقة كان على الشعب أن يفرح حين يراد له أن يفرح ، وأن يحزن حين يقضى عليه باصطناع مراسم الحزن .

الارتجال فى القرارات والمشروعات .

العشوائية الدون كيشوتية وعود وعود .

يعانى الشباب من : كثرة القـــوانين حتى غدا .. لا يؤمن بهـــا .. لا يعمل بها .. يجد ســــعادته فى مخالفتها .

النفاق :

الفردى فيقول شخص المفروض فيه أنه غنى عن النفاق ، عن الحاكم (الحكمة أهه) .

الجماعى توقعه الهيئات كنادى هيئة تدريس جامعة عزيزة قام رئيسه يقول للحاكم : انت الحكم والتاريخ ولكن الاســــاتذة الحقيقيون أسقطوه فى انتخـــابات النادى .

من أسفل الى أعلى : الموظفون للحاكم

من أعلى الى أسفل : بالاقطاعيات بالجــوائز التى تعددت وضوعفت قيمتها المادية .. الخ .

ظاهرة التواكل :

(اختلاط النظم الغربية « الاقتصاد الحر » بالنظم الاشتراكية الشرقية « الاقتصاد الموجه » أدى الى ظاهرة التواكل والاعتماد المتزايد على الدولة أو السلطة فى توفير متطلبات الحياة) تقرير معهـد التخطيط القـومى ، ص ٥٥ .

(لن يكون المجتمع منتجا كما يقول الدكتور حامد عمار الا اذا أتاح الفرصة للفرد لكى يصل الى أقصى مايستطيعه من استخدام امكاناته ومهاراته وتنميتها فى كل ما يتصل بعلاقته بالاشياء وبالافكار وبغيره من الناس . ولابد أن يستمد النمو مادته من هذه الاشياء الثلاثة معـا والا

يقتصر علي ناحيه منها دون الاخرى والا يقلل من شأن واحد منها فلا تعطي قدرها فى عمليات تنمية الشخصية المنتجة .

وعلاقة الانسان بالاشياء هي الجانب الذى لم يلق تقديرا يتكافأ مع قيمته في نمو الشخصية وحياة المجتمع نتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية التى عاشت فيها البشرية واقتران العمل اليدوى بحياة الرقيق والمستضعفين والعمل الفكرى بحياة السادة والاحرار .

« ان التنميه فى جوهرها كما يقول الاستاذ نادر فرجاني في بحثه الذى أشرت اليه هى عملية تحرير ونهضة حضارية شاملة تقتضى الانعتاق من شبكة علاقات السيطرة التبعية التى تربط البلدان المصنعة ببلدان العالم الثالث والعمل على اقامة بنيان اجتماعى ـ اقتصادي ـ سياسى جديد متوازن كفء ويحمل فى طياته بذور استمراره وتطوره باطراد . ولا يعنى هذا الانكفاء على النفس أو الاكتفاء الذاتى . وانما العمل على الدخول في علاقات التعاون الدولى بندية . وتعبئة وتوظيف الطاقات الذاتية فى اقامة البنيان الاجتماعى ـ الاقتصادى السياسى الجديد بهدف اشباع الحاجات الاساسية ، مادية ومعنوية ، لجماهير الشعب كأولوية أولى ثم الى رفع مستوى حياة الناس باطراد » ص ٢٢ .

وطاقات البشر فى اى مجتمع هى ، فى التحليل النهائى ، المورد الاول والاهم .

بناء البشر القادرين على الاضطلاع بالمهام التنموية .

أما اذا تركت الطـــاقات البشرية عـاطلة بل حجمت ولجمت فان كبر حجم السكان يتحول الى عامل ضعف ينخر فى بنية المجتمع .

ان من أهم الاشياء كما يقـــول ستيوارت تشيز لان يستطيع عامل فى نهاية يوم أو أسبوع أو سنة أن يشير الى شيء ما يمكن أن يكـون فخـــورا به ٠٠ الى شيء يحتفظ فيه بمعنى الابتكار . فليس فى ذلك بحال من الاحوال دلالة على ان هناك غريزة من غرائز الحذق ، بل فيه اعتراف بأن العامل وهو يتبين شخصه فيما صنع ، من دون وعى ، يحس بالرضا .

وفى وسط هذا العذاب يعاني الشباب من .

افتقاد المسجد معنى مع كثرة المساجد مبنى :

الوعظ الاجوف الذى لا يعمل به قائله وخير الواعظين من اتعظ بكلامه .

التغير بالامثلة السلوكية المجسدة التى تدل على ما ندعو اليه وذلك لا يكون الا عن طريق القـــدوة المحســوسة فى اشخاص القادة ٠

***

وهكذا نجد أنفسـنا نقف أمام أزمة لا تجدى فيهـــا الحلول المسطحة أو الافقية لانها مشكلة لها جذورها عمرها عشرون ســنة من الانفلاق والارتجال واستهواء الجماهير ، ان الشباب العابث والمتفسخ نتيجة :

ــ تعليم تلقينى عاجز ، دعائى دفع بالوف الخريجين الى الشارع فى انتظار التعيين ٠

ــ فراغ قاتل يفترس حتى الموظفين من الشـــباب لاعتبارات منها :

ــ قلة ساعات العمل الوظيفى .
ــ روتينية العمل ورتابته .
ــ مكتبية العمل .
ــ عدم تحقيق الذات .
ــ احساس دفين بعدم الكرامة التى يوفرها الحى .
ــ تحميله الامانة أى المسئولية .. العمل الناجح .. احترام الغير .
ــ حكم الفرد الذى نجم عنه : اختفاء الرأى المتخصص والحر .. خوف رأس المال المحلى من المصـــادرة .. والحراسة والتأميم .

وحيث قلت المشروعات لم يبق الا الحكـومة والقطـــاع العام امام جيوش القوى العاملة فكان على الخريجين فى كل سنة أن ينتظروا دورهم ثلاث سنوات يرتدون فيها الى الامية :
ــ بنسيان ما تعلموه .
ــ انطفاء شعلة الحماس فى نفوسهم .
فاذا وضعوا فى عمل أدوه بلا رغبة .
ــ الامتثال للتعيين العشوائى الذى كثيرا ما يتعارض مع **تخصصاتهم وميولهم فيورثهم المرارة والشعـور بالغبن الذى يولد السخط .**

العمالة الزائدة :

فى كل مصلحة أى البطـــالة المقنعة فالشـــباب المعين طاقاته معطلة ومرتبه متواضع فهو ينفس عن شحنة الطاقة وشـــــحنة الضيق والتبرم باللهـو الرخيص او غير الرخيص .

الاندفاع الاستهلاكي :

ان تغير النمط الاستهلاكي ونوعية هذا التغير وسرعته ومداه مؤشرات الى تغيرات حضارية تحدث ببطء لا نراه ، أو بسرعة تذهلنا ولكننا في الحالين لا نملك التوقف .. التوقف عن المواكبة او التوقف عن التفكير فالمسألة ليست سلعا تباع وتشترى ولكنها أعمق من هذا بكثير .. انها محاولة تغيير اجتماعي وسياسي مرسوم ومحسوب ٠٠ فلم يعد الغرب الحديث جيوشا ظاهرة تستفز المشاعر ولكنه يتزيا في أثواب عدة ، ويتخفيا أهدافا بعيدة .. فالاستنزاف العقلي ، والتحويل الاجتماعي ، والتطور الشكلي ، والتحديث المظهري ، والتأثير الفكري ٠٠ كلها عمليات تسير جنبا الى جنب في محاولة « تغريب » أمم الحضارة القديمة وبابلتها وذبذبة مسارها بحيث تقف على الاعراف لا تنطلق فتحيا ، ولا يسقط فتموت ، فان الامم العريقة تحمل قوة في ذاتيتها تجعلها اذا أريد بها شر أو أريد لهـا الموت ، تنتفض انتفاضة قوية تعود معها فتية من جديد . وهذا يخيف أعداءها مهما بلغت قوتهم وبلغ ضعفها . فيعوقون مسيرتها دون أن يميتوها ويمسخون سحنتها دون أن يشعروها وفي حالة الاغماء القومي التي نعيشها لاحت انتفاضة للتشخيص كأنها ذماء من روح ، أو نسيس في قلب مجروح .

بعيدا عن الشعارات الخاوية والبالية من كثرة الاستعمال الاجوف الامتصاصي ، يتذكر المثقفون بعد طول صمت ، أمانة في أعناقهم أن يقفوا وراء مصر بالدرس المخلص والعمل الذي يستهدف خير الانسان

المصرى .. عمل ينتعه من القاع الى شرف القمة ، ويرفعه من الوهاد الى ذروة القيمة .

تغير النمط الاستهلاكى للأسرة المصرية على مر العصور واثر هذا على النمط الحضارى للانســـان المصرى .. ظاهرة .

موجة عارمة وغامرة تكتسح الحياة المصرية من الوان الاستهلاك المستحدثه تحاصر الانســـان المصرى فى طعامه وشرابه وأثاث بيته وطابع مدينته .

الشراب :

كوكا كولا ــ بيبسى كولا ــ سفن اب ــ ميراندا والبقية تأتى شوية شوية شويبس أهى جاية ، ان شركة السفن أب رأسمالها ٢ مليون جنيه جمعت قبل أن تبدأ ٧ ملايين جنيه باسم تأمين للصـــناديق والزجاج الفارغ وممن ؟ من أصحاب الجلاليب والاكشاك الصغيرة . يحدث هذا ونحن بلد الليمون والبرتقال والكركديه والخروب .. الخ .

لقد كانت مصر قبل الاحتـــلال البريطانى لا تعرف الشاى فأشاعه الانجليز ومن ورائهم الشركة الشرقية ، فى الحياة العصرية .. الريف والحضر حتى غــدا مشروبا رئيسيا تدعمه الحكومة !!

وغدا تدعم المشروبات التى اتى بها زميله الامريكى .

وهذه وتلك تمثل نهبا اقتصاديا لمصر ــ هل احصينا ما يخرج من مال مقابل هذا كله ؟

أما بند هذا السيل من المشروبات فلعل الاحصاء يعطينا بعدا جديدا لهذا النهب .. ونفرح فقط بمئات الوظائف التافهة التى لم نقدم أى علم أو تكنولوجيا لمصر ؟؟ والتى تلحق بها مجموعة موظفين لزوم الشركات وتفخر بها هيئة الاستثمار .

ان فرنسا مثلا قلما تشرب الشاى وقلما تشرب الكوكاكولا .

ولكننا والحق يقال نلبى فى حماس شديد كل جديد مع أن مصر فى عصور قوتها من طبعها التحفظ والحفاظ .. حتى مع الاديان واللغات اعتزازا بشخصيتها .

ان من طبيعة الاشياء أن يتبع المغلوب ، الغالب ولكن مصر قديما استطاعت تتبيع حتى الغالب لها فعبد الرومان فى غلبتهم السياسية « ايزيس » لا فى مصر فحسب بل فى روما نفسها .

مثال فقط :

لقد تكلمت مصر اللغة العربية بعد ثلاثة قرون من الفتح العربى ولكنها مصرتها بل وضعت قاموسها الاكبر « لسان العرب » من عشرين جزءا .

ولكن مصر اليوم لا أدرى الى أين تسير .

العمارة :

البيت المصرى تخلت عنه تقاليده التى كانت تربطه ببيئته وطبيعتها فى البناء والاثاث ، بل والعادات .

لقد اتسمت العمارة فى مصر بامتزاج الطبيعة والدين

فيها منذ مصر القديمة التى سمى العامود المعمارى فيها « العمود النباتي » من ولع المصرى ببيئته وطبيعة مصر . لقد كانت أرض المعبد كأنها جزء من الحقل والاعمدة فيه نخيل من حجر أو سيقان اللوتس .

ومن البيئة ، المناخ وتأثيره .

ولهذا كانت العمارة فى مصر القديمة ومصر الاسلامية لها أقباء تتكسر عليها أشعة الشمس العمودية عندنا .

وكانت تبنى باللبن وهو مادة محلية فضلا عن أنه تكييف طبيعى يناسب جونا .

وكان للبيت أو المبنى فتحات ضيقة فى أعالى الجدران لوهج النور وشدة الحرارة ثم تحقيق الذاتية والصون .

ولكى يمسح الفنان الملل عن الجدران الواسعة ملأها بالنقش والنمنمة فى مصر الفرعونية ، وبالمعلقات فى مصر الاسلامية ولكن المدينة المصرية اليوم وخاصة القاهرة اعرق العواصم معماريا ، غدت كرنفالا فى العمارة : والزى ، وانماط السلوك ، ولغة الحديث ، بل ومناهج التعليم .

عمارات علب الكبريت ذات السقوف المسطحة فى بلاد الشمس ، ثم واجهات الالمنيوم والزجاج التى لا تصلح الا للبلاد الباردة التى تتلهف على الشمس من ناحية وتحرص على استبقاء الحرارة داخلها من ناحية أخرى .

نستورد هذه الانماط من كل بلد دون أن نفكر فى الفروق الشاسعة بيننا وبين بيئات أصحابها ودواعيهم . ونستورد منها بألوف الملايين كل ما تحتاجه هذه الانماط والطرز من أسمنت وحديد ومكملات ومرفهات وتكييف !

وكأن كل عماره تدق فى بلدنا هى مضخة تضخ مالنا . وهو عرقنا الى خارج البلاد .

ونظل سادرين .. ويظل الاستنزاف والضياع ! وكأن القاهرة برج بابل .

توسعنا رأسيا بلا ضوابط .

وتوسعنا أفقيا بلا تخطيط .

حتى المدن الجديدة وكانت فرصة لبعث الشخصية المصرية ، قامت هى الاخرى ، عشوائية ارتجالية .

فى مصر الفرعونية التقت الصحراء بالمدينة فى منف وفى مصر الاسلامية التقى النهر بالمدينة فى الفسطاط والقطائع والعسكر والقاهرة .

وقد نص حرم الانهار فى مصر الاسلامية أن يبعد البناء عن النهر ألف ذراع افساحا للرؤية وصونا للنهر من التلوث وتحقيقا للبيئة النهرية والجمالية .

ماذا نرى الآن .. امتدادا خازوقيا على النيل !

وشغبا معماريا أو واغشا معماريا فى القاهرة لا يستثنى من هذا جلال التاريخ فى منطقة الاهرام أو الفسطاط أو القاهرة المعزية ! ماذا نرى ؟

● قبحا معماريا حول السلطان حسن .

● المنشآت التجارية المتاخمة لمعبد الاقصر

● المبانى التى تعترض طريق الكباش وهدم الآثار التى تعترض مجموعات الطوب ، الدخيلة !

وعشوائية العمارة لا تجنى على الجيل الحالى وحده ، بل على أجيال قادمة .

اننا بلد الاديان وجداننا دينى وكان الظن بنا أن يقف هذا الوجدان وراء التصميم المعمارى كما فعل أسلافنا

الذين نصوا أن يكون سور البيت فى ارتفاع قامة الرجل راكبا جملا حتى لا يجرح الفضول فى الطريق العام ، حرمة المساكن .

لقد طبق الغرب ما استوقفه من عمارتنا بل ان أمريكا اليوم بدأت تأخذ بأسلوب الحديقة الداخليـة والافنية والنافورات ، حين تركنا نحن الافنيــة والقباب التى تتناسب مع الشمس العمــودية كما تتناسب الاسطح المثلثة فى البيوت الانجليزية مع الامطــار والثلوج .. كلاهما توزيع على الجانبين .

نستطيع أن نمتد فى الصحراء بطرازنا نحن .

فى محاولة تغيير نظام التعليم تغييرا جذريا يجب أن يشمل هذا التغيير لا المنــاهج فحسـب بل مبنى المدرسة نفسه فيكون مبنى متفقا مع بيئتنا متسقا مع تراثنا المعمارى دون أن يقلده ولكن فى رؤية جديدة له . وبهــذا يتشرب النشء ذوقهم القومى .

بقيت كلمة عن المساكن سابقة التجهيز :

اتضح انها بها عيوب كثيرة اذ أنها اقتضتها ضرورات الحرب العالمية الثانية لتغطية الايواء بعد التدمير . وقد استحدثت أوروبا اليوم أســاليب تكنولوجية متطورة فوردت الينا هذه النماذج المختلفة عندما استغنت عنها !!

وهى فضلا عن نمطيتها وتقيدها بشكل جامد فان التكلفة الفعلية لهــا ، اتضح انها أعلى من تكلفة النظم التقليدية فى البناء الذى يقوم فى الموقع مباشرة حين تصب حوائطها فى المصنع ثم تنقل بعد أن تجف الى

الموقع ويضاف الى التكلفه مصاريف النقل وعادم النقل أي ما يتعرض للكسر أثناء النقل .

الاثاث :

نتكلم ببساطة عن صالونات لوى كانز ولوى سيز .

انه اختلال المفاهيم .. سوء فهم للتقــــدم والتخلف يجعل شعوب الحضارة القديمة التى يدعوها الآن محدثو النعمة ، العالم الثالث ، العالم الثالث هذا يغيب عنه الوعى ويخطئه التوفيق حين يحصر التقدم والتخلف فى الوسائل والموضة .. والاندفاع الاستهلاكى او حتى حجم الدخل .

ليس بالدخل وحده تقاس الحضارة :

فدول البترول تحقق أعلى دخل فى العالم .. ومع ذلك عندما تقاس بنوعية الحياة المادية مقارنة بالغير ، لا تجدها فى رأس القائمة .

من السهل قياس دخل الفرد ، و لكن هل يمثل مقياسا حقيقيا لمجتمعا متحضر ؟

لقد جرت محاولة لقياس مادى يتكون من عناصر اهمها :

---

(١) أوضحت الجداول الاحصائية أن عدد الوحدات السكنية المطلوبة لتغطية احتياجات الاسر فى الحضر ٣ر٥ مليون وحده . كما قدر المطلوب لمواجهه التقادم والاحلال حتى عام ٢٠٠٠ بنحو ٨٠٩ ألف شقة .
لمواجهة التقادم والاحلال حتى عام ٢٠٠٠ بنحو ٥٨٩ ألف شقة .

منوسط العمر المتوقع للفرد ـ نسبة المتعلمين ـ معدل وفيات الاطفال وهى مؤشرات حضارية ناطقة الدلالة على مدى التقدم فى مجال نوعية الحياة المادية المحققة ، وقد خرج البحث بهذه النتيجة .

من بحث للدكتور على خليفة الكوارى عن « حقيقة التنمية النفطية أو حالة اقطار الجزيرة العربية » (۱) جدول عن ترتيب أقطار الخليج العربى فى العالم بالنسبة لمتوسط الدخل الفردى والرقم القياسى لنوعية الحياة المادية (أوائل السبعينات) هذا الجدول يجب أن نقف عنده طويلا :

القطر	متوسط الدخل الفردى		الرقم القياسى لنوعية الحياه المادية	
	دولار	الرتبة بالنسبة لبقية دول العالم	٪	الرتبة بالنسبة لبقية دول العالم
الامارات العربية	١٤٣٦٨	١	٣٤	١١٣
الكويت	١٣٧٨٧	٢	٧٤	٦٣
قطر	١١٧٧٩	٣	٣١	١١٦
السعودية	٣٥٢٩	٢٥	٢٩	١٢٠
البحرين	١٣٧٠	٤٦	٦١	٧٦
العراق	٩٩٩	٦١	٤٥	٩٣

(۱) مجلة المستقبل العربى ص ٢٧ .

وهناك جدول عن تطور متوسط الدخل الفردى فى مصر . خلال الفترة ١٩٧٥/٦٠ بالاسعار الثابتة يشير الى أن دخل الانسان المصرى عام ١٩٧٥ ٦٧ر٤ جنيها ، والمصدر هنا : الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء .

ترى أين نحن فى جدول (الرتب) بين دول العالم ؟

أيا كانت هذه الرتبة ، فنحن بسابقة الحضارة يجب ان نعى أن القيمة فى داخل الانسان لا فى خارجه .. نفسه لا ما يملك من متاع لا سيما اذا كان هذا المتاع ليس من صنعه بل مجلوبا من عند الآخرين آلات وسيارات وأثاثا ورياشا وزيا بل وطعاما .

وهذه احصائية أخرى ، نحصرها فى الشاى ، كمثال :

عام ١٩٧٢ كنا نستهلك ١٤٫٢٠٠ طنا .

وفى عام ١٩٧٨ تقول الاحصائية اننا استهلكنا ٣٦٫٨٠٠ طنا أى ضعفين ونصفا .

ولا أحاج هنا بالكليشيه التقليدى « الانفجار السكانى » فنحن لم نتضاعف ما بين سنة ٧٢ ، سنة ٧٨ ، ضعفين أو ضعفا واحدا . ان المسألة هنا الانفجار الاستهلاكى » .

ففى الاثاث استكمالا لما سبق ، اتجهنا الى الانتاج الكمى والنمطى فاذا بنا نستورد الماكينات ومعها التصميمات الاجنبية حتى الخامات التى تستخدم فى صناعة الاثاث أصبحت معادن وبلاستيك أو نايلون . خامات لا تصلح على الاطلاق لمناخ مصر .

ومكاتب التصميم فى هذه الشركات مغلولة يدها بعقود صارمة بالتزام تصميم معين دون أدنى تعديل .

وقد لاحت بادرة خير أخيرا تتمثـــل فى الرفض التلقائى لانتـــــاج هذه الشركات . ان احدى شركات الانفتاح تعرض ثلاث حجرات بـ ١٢٠٠ جنيه مع جودة الصنع .

ومع هذا نعانى كسادا فى المبيعات يبلغ حجمه ٢ مليون جنيه .

لقد كان المنزل المصرى ، وحده فى باب الاشياء .. كان الاثاث جزءا من عمارة البيت حتى ليسميه الدارسون « الاثاث الدفين » والحضارة المصرية فى عصور الريادة والسيادة طابعها بساطة الاستاذية واكتمـال النضوج وعمق التكوين .

حتى الخبز الصق الطعام بالاسرة المصرية تغير نمط استهلاكه .

كان يوم الخبز جزءا فى حياة الاسرة المصرية .

وكان الفرن جزءا من البيت المصرى .

وفي ذلك اليوم تلتقي نســـاء الاسرة وبناتها ويتعـاون على « اخراج » الرغيف .

والأمر ما يقول العالم كله « خبز » .

وتسمية مصر « العيش » .

النعمة .

كانت صناعته فى البيت ، امتـــــدادا لعصور مصر فيها .

كان يمثل حبا ، وشكرا ، وعطاء .

والمثل الشعبى يقول « من عنده العيش وبله عنده الهنا كله » .

ولعل هذا السر في حرصنا القديم على العيش . كانت الكسرة تقع على الارض يحنو عليها المصرى ويرفعها بين يديه ويقبلها وجها وظهرا بل يمس بها جبهته في استغفار .

ماذا يحدث الآن ؟

ملايين الارغفة التى تدعمها الدولة بملايين الجنيهات تذهب الى الدجاج والحيوانات « والبوظة » .

مع عماير المدينة وخاصة الشواهق برزت استحالة اعداد الخبز العائلى وبرز مع هذه الظاهرة « سوق العيش » . ومع الانفجار السكانى ورخص الرغيف وعوامل أخرى ساء الرغيف شكلا ولونا ونوعا فتشتريه الاسرة ولكن كثير منه يذهب الى الدجاج والحظائر .

ويدخل هذا في باب الهدر الذى غدا بدوره ظاهرة في أكثر مناحى الحياة المصرية .

يقول الدكتور سمير طوبار :

« الاسراف والفاقد في ميزانية الاسرة ينشأ عنه انخفاض في مستوى معيشتها وتضاءل مدخراتها ، ويترك ذلك انعكاسات على زيادة الطلب في السوق ونقص مصادر التمويل وينتهى بقصور جهاز الانتاج المحلى عن الوفاء بمتطلبات هؤلاء الافراد واستيراد العديد من السلع .. ومن ثم زيادة العجز في ميزان العمليات الجارية .. وزيادة العجز يؤدى الى انخفاض قيمة العملة المحلية وبالتالى ارتفاع في الاسعار ويتعقد الامر في اختلاط السبب بالنتيجة ، ويصعب على ضوء هذا

اقتراح الحلول المناسبة » (١) .

وتبع هذا التغيير فى النمط السلوكي والحضـــارى ، تغيير آخر استهلاكى فى باب الخبز وهو الاقبال على الرغيف الابيض كالرجل الابيض .

شاع أكل العيش « الفينو » مع أن خبزنا البلدى أصح منه ، وخبزنا الريفى « البتاو » أصح منهما .

الملبس :

وانسحب تغيير النمط الاســتهلاكى على الملبس بعـد أن بدأت تغمر أسواق الدول النـامية بكميــات رهيبة من الخيوط الصناعية وملابس مختلفة الاشـكال والانواع والرسومات والالوان الزاهية للاستهواء .

أصبحت الاسرة المصرية تلبس الالياف الصناعية بعد عزوف أوروبا عنهـا الآن اذ أثبتت الدراسة بالـكليات الهندسية المتخصصة فى تكنولوجيا النسيج أخطارها . فهى تفتك بجلد الانسان نتيجة الحـــرارة الاستاتيكية المتولدة منها على سطح جسم الانسان .

وهذه الدراسات تقول بوجود هواء ساخن محصور بين سطح الخامة الداخلى الملاصق جسم الانسان وبين الهواء البارد الضاغط على السطح الخارجى للقمـــاش فيكون الضغط الخارجى أقوى فتلتصـــق الخامة بالجسـم وهى بلا مسام أو ثغور .

هذا بينما يناسبنا القطن فى الجو الحـــــار لسرعة امتصاصه للعرق وسرعة تبخيره الماء .. والقطن يتحمل

---

(١) كتاب (التضخم فى مصر) بحث (أساليب الانتاج فى مصر ومشكلة التضخم) ص ٢٧٣ .

اثر ضـــوء الشمس المباشر فلا يتـوبر أو يتســـاقط منه اجزاء .

نحن بحاجة الى انتاج ما نستهلكه لا استيراده فانهم انما يصدرون الينا ما باتوا فى غنى عنه بل ما يزهدون فيه أو يتجنبونه بدءا من النايلون وانتهاء بالنوويات .

حتى الادوية كثير منها انصرفوا عنه واستعاضوا عنه بغيره مثل « الانترو فايفورم » .

والآنية التيفال التى تحمسنا لها حماسا شديدا ثبت ضررها الآن .

مبيد الـ د . د . ت تبين خطره على البيئة الزراعية كلها :

الانسان والحيوان والنبات .

نحن بحاجة الى استيراد وســـائل الانتــاج لا ناتجه من المواد الاستهلاكية . لقد أنتجت اليابان الموتور اولا ، وفى الاصل كان الموتور .

والموتور هو الذى يدير الآلة سيارة كانت او ثلاجة او غير هذا .

يقول الاستاذ عبد الرحمن الشاذلى :

« ان الانفـــاق الاســـتهلاكى يؤدى الى التضخم الحميد » (١) .

ويقول د . صلاح الدين نامق فى بحثه عن « التضـــخم النقدى وارتفاع الاسعار » :

ان المراجع الاقتصادية فى كل من انجلترا وامريكا ذكرت « ان الرغبة القوية من جانب المستهلك فى طلب

---

(١) كتاب (التضخم فى مصر) .

السلع والخدمات والتى تتضمن كذلك رغبته فى الاقتراض للانفاق كانت دائما عاملا مؤثرا على الاقتصــــاد القومى فى تضخم الاسعار منذ نهاية الحرب العــالمية الثــانية حتى اليوم » (١) ٠

ان التقليد قتل للذات ومسخ للآخرين ٠

لست ضد التطور والنمو فان ميزة مصر الاولى انها أول بلد بنى لنفسه شخصية ظلت تتطـــور وتنمو عبر العصور فى تواصل وبلا انقطاع ومع وجود النكسات والهزات والكوارث .

انفتحت على ما عند الغير واخذت منه وأعطته .. ونمت به ونمته فالبلد الواعى كالانسان يتغذى بما فى الثقافات كلها توســـيعا للوعى وتعميقا للاصالة ومددا للخلق .

الاصالة أن يتعرف السائح على تراثنا ليس من خلال المتاحف فحسب بل من حياتنا المعاصرة .

ان التقدم يقاس بأن المجتمع اذا غاب فيه فرد لا يملأ مكانه أحد .. هذا معناه ان كل انسان فى مثل هــذا المجتمع له شخصية متميزة .. له قيمة .. انسان عنده الرغبة أن يحقق أمل الحياة فيه .

والتخلف أن يعدم الانسان المسئولية . ويسلم او يطلب التبعية .. أن يسلم الانسان نفسه لانسان مثله يطعمه ويسقيه ثم يدفنه فى النهاية ٠٠ فرد فى قطيـع وراء الراعى .

حتى التبعية الفكرية .
والتبعية الصناعية .
والتبعية الحضارية .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢ ٠

نوع من الاسر الخفى بل هي اشد ضررا او اضرارا من التبعية السياسية أو العسكرية .

نستطيع فى الادب والفن والصناعة ان نطوف بالعالم كله ونرى ونتعلم ويتسع وعينا ونهضم ونتمثل دون أن نفقد خاصيتنا الاولى أى نطوف بالكيان المصرى فينا .

فليست المعاصرة عزوف كامل ومتعمد عن المألوف .

وليس التجديد رموزا سطحية .

وليست الجدة قلب الصورة دون عطاء حقيقى .

وليس التقليد علاقة تطور أو طلاء .. لان الطبيعة غنية لا تستعمل ورق كربون بل تخلق وتجدد دائما .

والاخطر من هذا ان التقليد فى الوسائل نتيجته الحتمية تعميق التبعية للدول المصنعة . لقد تطور الاستعمار بحيث غدت دوله « تبقى على الاستقلال السياسى صوريا مفرغا من مضمون حقيقى وتقوم أساسا على آليات للتبعية الاقتصادية » (١) .

اننا نتكلم عن تغير النمط الاستهلاكى للأسرة المصرية ومتى ؟ فى عصر الحضارة الحديثة وهى حضارة وسائل بالدرجة الاولى . الانسان وطبيعة الانسان ولكن مخاوفنا تتركز فى نوعية هذا التغير ومعدله وتأثيره فى كل منحى من مناحى الحياة .

يقول الدكتور محمد خليل برعى :

وقد شهدت الفترة من ١٩٧٣ الى ١٩٧٥ طفرة كبيرة فى الانفاق الاستهلاكى الخاص منه والعام ، اذ زاد الانفاق الاستهلاكى من ٣٥٠٤ مليون جنيه سنة ١٩٧٣ ،

---

(١) مجلة المستقبل العربى العدد ٢٤ ١٩٨١/٢ بحث الاستاذ نادر فرجانى .

مكونا حوالى ٩٢ ٪ من الدخل المحلى الاجمـــالى الى ٤٦٢٤ مليون جنيه سنة ١٩٧٥ ، مكونا حوالى ٩٩ ٪ من الناتج المحلى الاجمالى . ولقد كان للقطاع العائلى النصيب الأكبر فى أحداث مثل هـــذه الزيادة اذ زاد الاســـتهلاك العائلى من ٢٤٢٧ مليون جنيه الى ٣٣٢٧ مليــونا فيما بين هاتين السنتين ، وهى زيادة تفوق كثيرا التغير الذى حدث فى الناتج المحلى الاجمالى وبذلك ارتفعت نسبة الاستهلاك الجماعى من ٦٥ ٪ الى ٧٢ ٪ (١) .

الاندفاع الاستهلاكى :

« له انعكاسه الواضح على سلوك الافراد وشـــدة تطلعهم الى اقتناء وســـائل الحيـــاة المادية الحـديثة فى الملبس والمسكن والترفيه والحياة حتى أنهم فى انفاقهم يقدمون الكثير من هذه المتطلبات الثانوية على ضرورات الحياة مثل الغذاء أو الصحة أو التكسب أو ضـــمان الشيخوخة أو المرض » (١) .. لا ســيما أن مواد الطعـــام والشراب مدعومة . وهنا يشكل الدعم ، دون أن يقصد واضـــعوه ، جزءا من المشكلة .. وقد أحست الحكــومة بهذا فأثارت موضوع الدعم سنة ١٩٨١ !! ما الذى ايقظ الحكومة فجأة ؟

ومع الاندفاع الاستهلاكى .

ضعف الجهاز الانتاجى .

---

(١) اقرأ بحث (دور القطاع الخارجى فى موجة التضخم الحالية فى مصر) من كتاب (التضخم فى مصر) ص ٤٦٩ ــ ٤٧٠ .

(٢) انظر تقرير معهد التخطيط القومى ص ٥٤ .

وضعف القيمة .

وهنا تسود الوصولية وتختل المقـايـيس وتهتز القيم وتشيع السخرية من كرائم عزيزة كالاتقان والتفـوق والاخلاص والضمير . ومن هنا يزول العجب الذى قـد يكون ارتسم للوهلة الاولى أن أعزو مشكلة الشباب فيما أعزوها اليه من أسباب الى تغير النمط الاستهلاكى فى مصر وأثره على الحضارة والانسان . فليس حديثا عن التجارة ولكنه قلق على الحضارة التى تعنى عمر أمة وعطـاء اجيالها ومقـومات شخصيتها وطابعها . تمثله الماديات كالمعنويات .

أعيد السؤال الحائر مرة اخرى :

لماذا اثير موضوع الدعم فجأة سنة ١٩٨١ ؟

لابد أن هناك مشكلة !!

ولابد أن تكون للمشكلة جـذور .. اى أسـبـاب أساسية .

وفى معرض الاسباب يتحدثون عن مظاهر الاسراف والضياع فى الاسرة المصرية .

أى أسرة مصرية ؟ ان أسر القـاعدة العريضـة تعيش فى حال ابسط ما توصف به انها تستوجب ، فى نظر الحكومة ، الدعم .

القاعدة مدعومة .. وللدعم حديث عريض .

لعل المقصود بالاسراف « العـائلة المصرية » باعتبار ما كان ـ حيث القصـور والموائد والمواكب واحـدث الوسائل فى حياة كل يوم وباسراف بل سفه .

بل تسرف (العائلة المصرية) فى تبديد الاسرة المصرية، بتبديد انتاجها بل بتبديد الانسان نفسه .. فمن واقع البيان المالى لوزير المالية سنة ١٩٨٠ فى مشروع الميزانية العامة للدولة ان مجموع الاجور والمرتبات ١٣٣٧ مليون جنيه لموظفى الحكومة .. يخص اليوم أربعة ملايين ونصف (٤٥٦٫٥ ألف جنيه) .

كم من أيام كانت تهدر فى مناسبات شتى ليبدو الشعب كما تقول المانشيتات أنه خرج عن بكرة أبيه أو اخيه لست أدرى للتملى من « الطلعة » أو التمتع بالروعة أو .. !!

أعود الى التساؤل مرة أخرى ؟

لماذا أثير هذا الموضوع ؟ لابد أن هناك مشكلة .. ولابد أن تكون للمشكلة جذور .

ما الذى أيقظ الحكومة فجأة ؟

الدعم أصبح حملا عليها .

وهذا معناه ان ليس هناك تنمية بالمفهوم العريض لهذه الكلمة .

معناه ان ليس هناك استثمار انتاجى .

الفئات التى تستحق الرعاية يترجم هذا الى دعم .. فاذا بالطبقات الفقاعية أى التى ظهرت فجأة على سطح المجتمع وينقصها الفهم .. العلم .. القيم تنفق فى الاستهلاك .. فاذا بها تمتص جزءا من الدعم .

قصة عجيبة ! تشترى الحكومة : السكر .. الارز . « الدقيق لتدعم ضرورات الفئة المتواضعة أو القاعدة

العريضة فاذا بالعمولات تصب فى جيوب الفقاعات وهؤلاء فيما ينفقون ؟

يقول الكتاب الاحصائى السنوى للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء (١) فى بيان جملة الواردات ان المستورد بند لؤلؤ ، أحجار كريمة ، حلى ، كانت فى : سنة ١٩٧٤ . ٢٥٥ ألف فأصبحت فى سنة ١٩٧٨ : ٦٫٨٧٥... ستة ملايين وثمانمائة وخمسة وسبعين الفا !!!

وهذه طبعا فقاعات نساء القصور التى وصف أشباها لهن ، شوقى :

الروايات من الدلال   الناهضات من الغرور
أو الروايات من الاموال   المتخمات من القصور

أما الفقاعات الرجالى فهم ينفقون على « الفيديو » وشارع الهرم . وهكذا يساوى الدعم :

مستهلك — ومستهتر .

وهنا ينحط الفن والادب والموسيقى .. ويكتسح عدوية فى الغناء من واقع ارقام المبيعات لان الذوق قبل هذا كله انحدر ، والمتذوق تغير .

وما دمنا نتكلم عن الاسرة فمن الطبيعى ان نتكلم عن العامل الرئيسى فى حياتها وهو الدعم .

لقد بدأ الدعم من ٧٠ سبعين مليون جنيه وانتهى الى ٢٠٠٠... الفى مليون جنيه ووراءه ، سار كل شىء فى هذا المنحنى نفسه .

من مشروع موازنة (٢) سنة ٨١ ، ٨٢ المقدم لمجلس

---

(١) الكتاب ١٩٥٢ — ١٩٧٩ يوليو سنة ١٩٨٠ .
(٢) التقدير العام للجنة الخطة والموازنة ص ٦ .

الشعب نجــــد توزيع الالفى مليــون جنيه على الوجه الآتى :

١٤٧٣ مليون جنيه دعم الســـلع التموينية أى دعم الاستهلاك المعوى ! فى حين نجد ان كل ما يصرف على الخدمات ، ٣٢٦ مليونا تشمل الخـــدمات الصحية ، والاجتماعية والدينية أى تبلغ ٢٢ ٪ تقريبا ، و ٨٧٢ مليون جنيه للتعليم والبحــوث والشباب أى ٥٣ ٪ تقريبا .

التنسيب هنا الى دعم الطعام .

أما اذا كان التنسيب الى مجمــوع الانفاق العام على الطعام والشراب وهو ٧٣٠٥ مليون جنيه كما جاء فى صفحة ٣١ من تقرير لجنة الخطــــة والموازنة لــكان ما يصرف على التعــليم والبحوث والشـــباب يوازى ١٠ر٥ ٪ مما ينفق على الطعام والشراب . وما يصرف على الخــدمات الصحية والاجتماعية والدينية ٤ر٥ ٪ مما ينفق على الطعام والشراب . وهى نســـبة تصيب بالدوار .

ولا يختلف كثيرا عن هذه الارقام ما جاء فى المجلد الاول عن « الاستراتيجية العـــامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ــ اغسطس سنة ١٩٧٧ وفقا للخطـــة الخمسية لوزارة التخطيط » .

والمحصلة الاخيرة أننا نعيش ولا نحيا . وليس من يعيش كمن يحيا .

ويقترن رخص ســــعر المدعــومات بالاسراف فى استهلاكها بل يغرى باهدارها اهدارا فيرمى الخبز والارز مع القمامة .

هل يرمى أحد اللحم ؟ بالطبع لا .

وهنا يكون العلاج ليس بزيادة الدعم .. ولا بزيادة النصح والارشاد والخطب المنبرية والا كنا نعالج النتيجة لا السبب أو نضع العربة أمام الحصان .

ويغدو الترشيد في الانفاق كالترشيد فى تحـديد النسـل الذى زادت ببركته نسبة المواليد على الرغم من الملايين التى تنفق على تنظيم الاسرة الذى لا يمل النظر حوله .

وحين تكفل الدولة للفرد ، الخبز والمزاج أى السكر والشاى ، فالفـائض ينصرف الى ، ويصرف على ، السجاير والمخدرات التى يعلن فى ابتهاج شديد ، عن ضبط ما قيمته مائة مليون جنيه منها .. بين الحين والآخر .. اذن ما ثمن غير المضبوط ؟

وفى ص ٣٦ من بيان لجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب .. واستنادا الى الجدول المعـدل لنمو حجم الاستهلاك العائلى أى الاسرى نجد أن :

اللحوم والاسماك والبيض « البروتين » ١٠٦٩ مليون جنيه أى ٤٠ جنيها للفرد ــ فى السنة طبعا .

ونجد ان البيرة والسجاير والمعسل ؟! ٤٨٠ مليون جنيه أى ان استهلاك الفرد ٤٨ جنيها باعتبار المستهلكين ١٠ مليون بواقع ربع السكان ــ وهو يمثل نوعية معينة من الرجال ــ دون أغلب النســـاء والشيوخ ودون الاطفال .

فى عام ١٩٧٥ قدر متوسط الاستهلاك الفردى فى مصر بما يعادل ٣٥٤١ وحدة حرارية منها ٩٠ وحـدة بروتين يشكل البروتين الحيوانى فيه ١٥ ٪ بينما فى

الدول المتقدمة يزيد المحتوى الحيـــوانى للبروتين فى غذاء الفرد فيهـــا عن ٤٠ ٪ من اجمـــــالى الوحدات البروتينية المستهلكة للفرد (١) .

معنى هذا اننا ليس عندنا عادات صحية .

ومعناه اننا لا نعرف كيف نأكل .

ليس عندنا فن الحياة ـ وأترك هـــذا جانبا الآن فله بعد مقام عريض .

أقول للمرة الثانية أن المطبخ المصرى آفة من آفات الشخصية المصرية مادام هذا أسلوبنا فى الطعـــام من حيث الكم والكيف .

لقد جنى علينا فى سائر البلا العربية تقريبا المطبخ التركى بدسمه ولذائذه التى تحمل فى ثناياها من أمراض المعدة والكبد الكثير . ويترجم اعجابنا بهذا المطبخ ، المثل الشعبى « حط السمن على الرمل ، يتاكل » .

وفى بيان تطور أنماط الاستهلاك في الريف والحضر من واقع تحليل الاهمية النسبية للانفاق الاســـــتهلاكى « حضر وريف واجمالى الجمهورية » ببحثى ميزانية الاسرة ٦٤/٦٥ ، ٧٤/١٩٧٥ (٢) .

« ان نسبة استهلاك الزيوت والدهون زادت من ١٨ر٢

---

(١) اقرا بحث (بعض جوانب سلوك المستهلك فى مصر وعلاقته بالتضخم) للدكتور حاتم القرنشاوى .

« كتاب المؤتمر » العلمى السادس (التضخم فى مصر أساليب ووسائل مواجهته) ص ٣٨١ ـ ٤١٢ من الكتاب .

(٢) الجمعية المصرية للادارة المالية ـ المؤتمر العلمى الســـادس ـ (التضخم فى مصر وأساليب ووسائل مواجهة آثاره) ـ بحث الاستاذ الدكتور محمد الطب (تطور العلاقة بين الدعم والتضخم والاستهلاك) .

الى ٩ر٥ ٪ فى الريف ، ومن ١٢ر٢ ٪ الى ٤ ٪ فى الحضر بينما انخفضت نسبة استهلاك الالبان ومنتجاتها من ٧٨ر٧ ٪ الى ٣٧ ٪ بالريف ومن ٦٦ر٥ ٪ الى ٣ر٤ ٪ بالحضر » .

***

ويتصل بهذا « ان مجموع الانفاق الاستهلاكى الذى تجمع عنه بيانات ميزانية الاسرة بالعينة يشـــمل حاليا ٩٨ر٥٪ من مجموع أنفاق الريف « وكان ٥٧ر٧٪ سنة ٦٤/٦٥ كما يشمل ٩٨ر٤ بالحضر وكان ٩٧ر١٧ ٪ سنة ٦٤/٦٥ » ومعروف أن باقى النسبة يمثل تحـــويلات شخصية وهذه النتيجة تتفق مع تحليل البنك الدولى فى دراسة عن ١٩٧٦ المقدمة لوزارة التخطيط » .

ولا شك ان الاسرة المصرية تعرضت لهزات حضارية واجتماعية أو على الاقل تغيرات فى الجانبين بفعل هجرة بعض أفرادها للعمل فى الخارج أو فى الداخل بمعنى الانتقال من الريف الى الحضر حيث ارتفعت نسبة الحضر من اجمالى السكان من ١٩ ٪ فى بداية القرن الحالى الى ٤٤ ٪ فى عام ١٩٧٦ . كمـــا تعرضت الاسرة المصرية لالحاح الاعلانات ، أو انتقال الاسرة فى السلم الاجتماعى من درجة الى درجة ، أو اغراء المعروض من السلع ، أو التقليد ، أو حب المظهريات .

ولا ننسى أن الاسرة المصرية المطحونة دائما فى خلفيتها او قابع فى أعماقها احساس مزمن بالحرمان .

نأتى الى معدل حصة الفرد من مجمل الانتاج الوطنى على أساس الاسعار الحالية . . وهنا نجد أنه بالدولار :

١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩
٣٨٦	٥٤٦	٣٦٨

وان اجمالى الدخل القومى بملايين الدولارات :

١٧٫٤٣٠ (سبعة عشر مليارا وأربعمائة وثلاثون مليونا) سنة ١٩٧٧ .

٢٣٫١٧٧ (ثلاثة وعشرين مليارا ومائة وسبعة وسبعون مليونا) سنة ١٩٧٨ .

١٦٫٣٥٠ (ستة عشر مليارا وثلثمائة وخمسون مليونا) سنة ١٩٧٩ .

والمصدر : دائرة الشئون الخارجية في الولايات المتّحدة (١) .

ومعنى هذا اننا فى ذيل القائمة .. قائمة الدول العربية .

اما فى جدول الاهرام الاقتصادى عدد سبتمبر سنة ١٩٨١ فقد ورد أن نصيب الفرد من اجمالى الناتج القومى بالدولار فى سنة ١٩٧٩ ، ٤٨٠ وبنسبة نمو ٣٫٤ ٪ سنويا .

ومعنى هذا ان الانسان المصرى طاقاته معطلة ، وطاقات بلده معطلة أيضا .

وهنا يتحرك ضمير الانسان المصرى المدرك للمعنى الخافى وراء هذه الارقام .

ان هذا الشعب لا يريد أن تطعمه الحكومة لان هذا

(١) مجلة عالم التجارة . عدد أغسطس سنة ١٩٨١ ص ٧٥ .

الاسلوب يميته ولا يحييه ويقتل ارادته حين يخضعها أو يتبعها .. اننا نطالب برفع الانسان المصري باطلاق طاقاته وازالة المعوقات النفسية من طريقه .. يوم يملك الكلمة والقرار .. يوم يملك الطموح وتحقيق الذات .. يوم يعفى من الشعارات والمانشيتات .. عندئذ يعود اليه الانتماء وتعود اليه ارادة الحياة على أرضه فيزداد انتاجه من سعادته به ويرتفع دخله فيحيا حياته بنفسه بغير حاجة الى يد تمتد اليه .

يتحدثون ويبدأون ويعيدون عن ، وفى ، الانفجار السكاني . وهذا الانفجار لن يتوقف ما دام المجتمع المصرى تعيسا يشقى بالجهل والفقر والاعانة ، ان العلم متعة وتحقيق ذات .

واليسر يعنى المستوى الطيب والعادات الحسنة والترف العقلى بعد المادى ممثلا فى الكتاب والمسرح والسينما والصحيفة والثياب والرحلة وسواها .

فاذا تحقق هذا على مستوى القرية والمدينة قضينا على النمو السكاني من الداخل (ترييف القاهرة) أى زحف الريف على القاهرة ، وأوقفنا النزيف للمون بهجرة العقول الى الخارج . والداءان تعانى منهما لقاهرة حتى باتت على شفا الهاوية . وكل اصلاح فيها يزيد المشكلة تعقيدا لان الاصلاح الذى لا يتناول الريف يزيد عامل الجذب الى المدينة .

لماذا لا تهاجر الاسكندرية أو المنصورة الى القاهرة ؟ لان فيهما اكتفاء ذاتيا يغنيهما عن الهجرة بآلامها النفسية والمادية .

ان المرأة المتعلمة والعاملة تحدد نسلها بنفسها لعـــامل الوقت ولانها تحقق ذاتها بأسلوب آخر أرقى .

اما الجاهلة قعيدة البيت فهى تتوسل بالانجاب تحقيقا للذات واستبقاء للزوج ، واستدرارا للاهتمام ساعات من العمر عند الولادة وعنـــد السبوع . ثم مشغلة للوقت والطاقة .

وما الضرر مادام رغيف العيش وان كان لايؤكل بمليمات معدودة والشاى والزيت والسكر وخرقة القمـــاش ، شرحه .

ولكن الانسان عندما ترتفع قيمته ، ترتفع معهـــا رؤيته فلا يفرح بالاعانة بل يرفضها اعتزازا بالقـــدرة واحتفاظا بالكرامة .

ان البدوى البدائى حينما أراد أن يهجو انسانا ، قال :

دع المكارم لا ترحل لبغيتهـــا
واقعد فانك انت الطاعم الكاسى

أى المطعوم المكسو .

وبعض المؤرخين يفسر التكايا التى فتحها صلاح الدين بأنها عملية الهاء للناس عن الاشتغال بسياسته .. ماذا يريدون .. كل شيء مكفول لهم فى التكية .

نريد اعادة حساباتنا فى محاولة تصحيح لها .

نريد محاولة بناء جادة للانسان المصرى .

لا يمتص أحد ، بعد اليوم ، همومه ومشاكله بالكلام والاعلام والاحلام .

والحـــل ؟

يكمن الحل عندى :

زيادة الانتاج وتشجيع الادخار .

لامتصاص الفائض من الدخل ضمانا لعدم تسربه فى السلع الاستهلاكية .

ضمان استمارية العرض :

حتى تختفى العجلة فى الاقتناء قبل النفاد الـذى يحاول أصحاب السلع ، الايحـــاء به ، وحتى تختفى اللهفة على الشراء وأهم عندى من هذا وذاك :

رفع كفاءة الريف :

وتوفير الحياة اللائقة بآدمية الانسان ، فيه ، حتى يرضى به ، ويرضى عنه أهله فلا يخلفونه الى المدينة وهنا تتغير نوعية استهلاكهم ويكونون عبئا على كل شىء فى المدينة :

الانتاج أى الاستهلاك بالتالى .. والمواصلات والسكن ... الخ .

العناية بزراعة القمح والذرة :

لان رحلة الرغيف فى الريف قديما من طحن وخبز كانت تجعله عزيزا كأى شىء يعمله الانسان بيديه ويرى نفسه فيه . أما وقد غدا الريف يســــــتورد الرغيف محليا ، أى يشتريه جاهزا فقد هان اذ انقطعت العلاقة بينه وبينه فأصبح من السهل على الريفية أن ترميه او تبثه للدجاج وهى التى كانت تحافظ على « الكسرة » بل تقسم بها . وقد فصلت هذا ، قبلا .

أى تربية جيل جديد من جديد بعد أن نجرى تغييرا جذريا فى مناهج المدرسة وبرامج الاذاعة أو معظمها وأسلوب الكنيسة والمسجد .

وهذا الجيل اذا وفقنا فى تنشئته سيربى بدوره جيلا آخر وهكذا وان لم نبدأ ستكر الايام وتمر الاعوام وراء الاعوام كما مضت ثلاثون عاما انتهت بنا الى ما نحن فيه .

ويوم يزيد الانتاج باستغلال النواحى البكر بالدراسة المتخصصة لا الفهلوة ، وتنتعش الصناعة والزراعة ، وتزيد الدخول ، وترتفع القدرة ، وترتفع المنفعة الحدية للانسان المصرى ، فانه خير له ، وأجدى عليه .. خير له أن يكسب ويشترى غالبا من أن يكون عاجزا شبه معدم ، قاصرا ينتظر الدعم أى « حسنة » من الحكومة .

الحل مرة أخرى

ـ حملة دعائية موسعة لمحو الامية بحيث تغدو عملا مقدسا يقبل عليه المواطنون ممن منحهم الوطن نعمة العلم ، تطوعا واحتسابا .

ويقبل عليه الشباب بكل فئاته :

ـ الذى ينتظر التعيين .

ـ المعينون ممن يعمل نصف يوم .

على أن يكافأ مكافأة سخية ليبذل أكثر وتتوفر لديه الرغبة والحماسة .

وتزكى الحماسة بالحوافز الاخرى كالجوائز :

ـ لمن يعلم أكبر عدد .
ـ ولمن يعلم احسن .
ـ نشر الوعي بمصر وتعريف الشباب ببلده تعريفا مشبعا والوسيلة .
ـ أفلام تسجيلية مدتها ربع ساعة تعرض على دور العرض السينمائى قبل كل فيلم .
ـ متاحف فى عواصم الاقاليم منمكررات الآثار .
ـ الاذاعة والتليفزيون وثلاثة أرباع حجمها ترفيهى ونحن لم يقتلنا الجد لنكون فى حاجة الى كل هذا الترفيه . ويجب أن يحل محل كثير من البرامج الترفيهية برامج ثقافية ووطنية سهلة التناول فى أسلوب مشوق .
ـ بعث شخصية البلد وفنونها واشاعتها فى جميع وسائل الحياة كالنسيج والادوات ، والعمارة والاسماء العامة وكل ما يحيط بالانسان المصرى .

ان العلم طريق الحب الصحيح :

ـ احترام عقله بعدم فرض الشعارات عليه وأثقاله بها .
ـ تحقيق ذاته بالعمل الحقيقى المناسب والمتناسب مع مؤهله .
ـ تبصيره بجهود الشباب فى الدول المتقدمة للاقتداء والحفز وهذا خير من الخطب أو الاوامر أو الوعظ والارشاد .
ـ تعريفه بالحجم الطبيعى للحقائق الداخلية والخارجية أن يعرف نفسه ويعرف عدوه بلا مبالغة أو تهوين .

– رد غربته النفسية بأن يحس أن له مكانا حقيقيا فى بلده بالرأى الحر الآمن والجهد المبذول له مثل :

الامن النفسى . التعليم . الصحة . الخدمات الاجتماعية .

والجهد المبذول منه مثل : العمل .. البناء .. الدفاع .

– القدوة ومجالها البيت ولكنها مفقودة فى البيت فى الوقت الحاضر ، والوسيلة :

عرض النماذج المشرفة عليه فى الاذاعة والتليفزيون ..

فى المدرسة .

فى المعبد : كنيسة كان او مسجدا .

ترشيد الفراغ :

– بالنادى .

– بالساحات الرياضة .

– بالرحلات الجماعية .

– احترام الانسان خاصة من الدولة فهناك موظفون يتخذون من مواقع المسئولية مناطق نفوذ ... ويتسلطون .

***

هذا على المدى القصير والسريع .

أما على المدى الطويل فان تربية الشباب تبدا من البيت ثم المدرسة والمعبد كنيسة كان أو مسجدا .

ففى البيت يتعلم :

– القيم .

ـ اسلوب الحياة .
ـ مستويات السلوك .
ـ احترام النفس واحترام الناس .

وفي المدرسة وهذا يحتاج لدراسة منـــاهج التعليم الحالية دراسة شاملة برؤية جديدة ليتعلم النشء فى المدرسة :

ـ طرائق التفكير .
ـ معانى الكفاح .
ـ معنى المجتمع .
ـ حماية المال العام .

وفى المعبد يتعلم :

ـ النظرة الواسعة الى الدين .
ـ المحبة والتسامح ليسقط التعصب من عينه وعمله .
ـ نظرة مصر الحضارة الى الدين .

وقد أثبت الشباب المصرى أنه عندما يحسن تنظيمه وتوجيهـــه وزرعه نفسيا ، يرتفع الى مســتوى أعظم المسئوليات . والمثل عندنا ٦ أكتوبر فالذى عبر شباب اشترك فى اعداده :

ـ العلم الحديث .
ـ حسن الادارة .
ـ الابوة فى المعاملة بانتفاء الاوامر الكالحة المستعلية .
ـ الايمان بالله .. الايمان بالوطن .. الايمان بالهدف .. الايمان بنفسه .

على أن عيوب الشباب التى نشكو منها لم تكن موجودة فى العشرينات عند قيام بنك مصر مثلا وشركاته وفى عصور ازدهار الاقتصاد الوطنى فقـــد كانت الشركات والمؤسسات تطلب الى كليات الجامعة دفعـــات معينة

وتبدأ فى تدريبها قبل التخرج بعام لتنفتح بها على أثر تخرجها .

ومشكلة الشباب اليوم حلها فى :

أ ـ الانفتاح الاقتصادى الانتاجى الذى يستوعب الشباب على كافة المستويات .

٢ ـ تعمير سيناء واغراء الكثيرين باستيطانها والعمل فيها .

٣ ـ قيام صناعة السياحة . والسياحة بمفهومها الحديث علم .. وفن .. وصناعة لا فندقة أو استجداء بالآثار .

وهناك دول لا تملك من التاريخ والمواقع أو المزايا الطبيعية نصف ما نملك وحققت من السياحة دخلا خياليا بل انتقلت بالسياحة من دولة متخلفة الى دولة غنية متقدمة كأسبانيا مثلا .

وصناعة السياحة تعنى :

ـ حماية الآثار .. مهابة الآثار .. العلم بها .. فنادق .. أدلاء متعلمين بل مثقفين .. فندقة .. طرقا معبدة .. صناعة أغذية .

ـ الصناعات المحلية التقليدية « خان الخليلى » .

كل هذا يحتاج طاقات واعدادا بشرية تمتص جموع الشباب على كافة المستويات خاصة اذا أتيح للقطاع الخاص أن يعمل فهو قائم على المنافسة التى تظهر العناصر الممتازة والجادة وهنا تختفى العمالة السلطانية التى تضمن القبض الشهرى فى جميع الاحوال .

والآن بعد طرح المشكلة .. مشكلة الانسان المصرى .. أتساءل :

هل للشباب دور فى بلده ؟

يعانى الشباب اللامعقول الذى يعيش فيه بلا جواب
هل له دور وهل أى شىء حوله له دور ؟

ويسأل نفسه أكثر من مرة :

التليفزيون مثلا :

حقا المفروض أن التليفزيون جامعة الشعب ومرآته التى يرى فيها وطنه .. ماضيه وحاضره .. فنـونه وعلومه وصناعاته .. مدنه وقراه .. آراءه وأفكاره .. مطالبه واحتياجاته .. موقعه بين بلاد العالم .. ما عند الآخرين أيضا للتعلم أو التفوق أو المواكبة .

هذا هو المفروض ولكن التليفزيون لا يتجه ، الا اذا استثينا بضعة أيام ــ لا يتجه الى الشعب بل يوجه اليه فهو يعيش على حساب الشعب ولكنه لا يعمل لحسابه .

ولكن .. لماذا التليفزيون بالذات ؟

وهل تؤدى الجامعة دور الثقافة ؟ بعد أن غـدت جهازا للطاعة ؟ تفرض عليها الاعداد الفلكية دون أن يؤخذ رأيها عن طاقة الاستيعاب عند المكان والانسان ؟ والنتيجة تجهيل على مستوى الطلبة ، وتعتيم على مســتوى الاساتذة فلا الطلبة يستفيدون .. ولا الاساتذة يفيدون

فى هذه الكشافة الطلابية .. ويبدو ان الفائدة العلمية ليست مطلوبة فقد كان سعيد باشا والى مصر بعد عباس يقول أن الشعب الجاهل أسلس قيادا من الشعب المتعلم .. وكم من سعيد يحكم مصر !

التعيس وحده هو الشعب المصرى .

هل تؤدى الصحافة دورها ؟ وفى كل يوم حيلة لتقليمها وتسطيحها وتتبيعها ! ماذا تقول المانشتات فى الصفحات الاولى ؟ لقد أحصيتها على امتداد بضعة أعوام فوجدت عجبا وخرجت من الحصر ، بحسرة على عصر التفاهة الذى نعيش فيه .. ليست عبارة عابرة بل انى سأتخذها عنوانا لكتاب هو مسح شامل لما صارت مصر اليه فى السياسة والفن والادب والعلم والاقتصاد أقصد الاقتراض .

مسح شامل للمنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم . نحن الشعب نسجل .

مسح شامل للمسرحيات التى شاهدها وكابدها الشعب المصرى خارج المسرح .

***

لقد غدت الصحافة ، الوجه الآخر للعملة فالتليفزيون ، بالمسلسلات التى تحاصر الانسان المصرى ، يمتصه ليلا ، والصحافة تمتصه نهارا بالقانون ٨٣ ثم بعلاوات الموظفين وكأنها هبة سنية ثم بالعباقرة الذين ظهرت عليهم فجأة أعراض الكتابة رجالا ونساء .. وفى يوم وليلة شغلوا ، كالمتنبى ، الحياة والناس .

حتى العلماء امتصوا بالايام الموسمية والفئوية والجوائز الالفية .

وفى اثناء هذا تمر فى الزحام المصطنع والمصنوع ، القضايا المصيرية كمياه النيل لاسرائيل ، والمفـــاعلات النووية التى تخلص منها أصحابها وباعوها لنا بالملايين ، ودفن النفايات النووية للنمسا فى مصر ، لتصير مهد الحضارة مقلب زبالة نووية ، وبيع الاراضى للأجانب وهم يهود تحت جنسيات أخرى أو سافرين لزوم التطبيع ، والتيسيرات والتسهيلات والتشهيلات ، والاستثمارات والمليارات ، ونكبات الآثار وويلات الاستعمار الجديد .

هل يؤدى رجل الدين دوره ؟

رفض الشيخ محمد الانبابى شيخ الازهر فى أواخـر القرن التاسع عشر مقابلة كرومر فسعى اليه كرومر فى قريته ووقف ببابه فلم يتحرك الشيخ فى جلسته ولم يكترث بكرومر أو حتى يصافحه !! فحدثه كرومر فى هذا فكان رد رجل الدين الحقيقى الذى يمثل السلطة الروحية للأمة :

ـ أنت محتل لبلادى ودينى ينهانى عن تعظيمك .

ماذا حدث عند زيارة كارتر لمصر ؟

سعى كبار رجال الدين الى المطار لينتظموا فى صفوف الانتظار !!! وكم سـعوا الى المطـارات والمزارات ... الخ ..

ـ هل تؤدى المدرسة دورها ؟ وهى تبدىء وتعيد فى خطب مصنوعة ـ لم يكتبهـا أصحابها ـ كأنهـا روائع الـكلم ؟

ـ هل تؤدى الاغنية دورها ؟ وقد غدت سقيمه كاذبة تافهة ولم يتورع صاحبها أن يتبوق تارة ، ويلبس غير ثوبة تارة أخرى ؟

ـ هل يؤدى المسرح دوره ؟ وقد أدركته حكمة شهر زاد فسكت عن الكلام المباح فى الصباح والليل على السواء بعد أن صحا صحوة مشهودة فى الستينات ؟

ـ هل تؤدى المجالس الكثيرة ، الغفيرة ، الوفيرة ، دورها ؟

ـ هل يؤدى المثقفون دورهم ؟ ومصر أمانة فى أعناقهم .. مصر التى غدت نهبا مباحا ، وحرما مستباحا ، وكنزا مضيعا ! ..

هل يؤدى المثقفون دورهم أم هم ينظرون ثم يغمضون العين على القذى ، ويسكتون الضمير على الاذى والجريمة من كل نوع وحجم .. ويمضون .. بل أحيانا يصطنعون البهر بالجهل ويقولون بأفواهم ما ليس فى قلوبهم .. ولو وجد الحق فيهم نصيرا أو سمع بينهم صوتا جهيرا ؛ لا رعوى الباطل أو عوى فى خلاء .. وفى الحالين تميد الارض تحت قدميه ويتبين الرشد من الغى .

وهذه الفئة من المثقفين التى تخلت عن واجبها رئاء السلطة ، أو ابتغاء المنفعة ، أو اشتهاء المال ! حسابها ، كزمرة الباطل ، عسير يوم يكتب التاريخ فى غير تزييف أو تحريف . كم من علامة استفهام حائرة شقية ؟ ماذا يقول الصبر ؟

ليس لها من دون الله كاشفه .

لقد تقامأ كل شيء حتى غدت القماءة طبعا وطابعا .. للتقية ، أو التكية ، أو البلية ... ومن البلاء والابتلاء ، انفصام الاحساس فيظهر انسان شيئا ويبطن نقيضه .. ومن البلاء احتمال الاذى ورؤية جانية وهو غذاء تضوى به الاجسام مهما تعـــددت الجمعيات ووردت الدجاج والتجارات الاخرى ..

وحين تختل المقاييس وتغتال القيم ويطحن الانسان ويهون ، لا يبقى تليفزيون أو غير تليفزيون ..

وهنا تضيع الكلمات لان كل شيء ، ضاع .

كنت أحاضر فى الاسكندرية .. وطوف الحديث بعد المحاضرة وطاف فاذا بهموم الشباب تفيض همهم الكبير مصر والانسان المصرى . وقال أحـــدهم وهو مدرس بجامعة الاسكندرية حاد الذكاء ، عميق الاطلاع : ما رأيك فى جمعية للرفق بالانسان . وضحك بعض الحاضرين وقد حسبوه يمزح . ولكنى لم أضحك بل سرحت طويلا .. ان يسخر الشباب المصرى هذه السخرية المرورة فذاك مؤشر الى أعباء ثقال يرزح تحتها .. أعباء نفسية قبل أن تكون مادية تدفع بعضهم الى الهجرة وتمـــلأ البعض احساسا بالغربة النفسية على أرضه ، وتحمل البعض على هذه الكلمة الحزينة .

ان شبابنا متوقد الذكاء ، بعيد الطموح ، ولكنه سائر فى الزحام مسلوب الارادة ، فاقد الاختيار كالجموع حوله ، لا تحترمه القوى العاملة التى تطوح به فى أى مكان رضى أم أبى ، ولا تحترمه الصحيفة التى يقرؤها ، حتى حين تزعم انها ملكه .. ملك الشعب .. فهى تمن

عليه بالعلاوة وكأنها فضل لأحد وهى تزيف ارادته فتنسب اليه ما لم يفعله وما لا يؤثره ، هى تسمى له الاشياء بغير أسمائها ، وهى تهين ذكاءه بالمبالغات ، وتبدد ماله فى المانشتات ، وتضيع وقته فى التفاهات ثم تبدىء وتعيد بلا جديد .

وتأتى الاذاعة مسموعة ومرئية فتسلط عليه المسلسلات لتمتص ما أبقته الجمعيات وطوابيرها من طاقته ووقته ، وتلهيه عن واقعه .

ويركز الاعلام على الدورى والكأس لينفس كربه ، ويغذى حب الانتماء البديل فيه ، ويشيع شهوة الجدل والمناقشة ويحدد مسارها .. ـ الكرة فقط ـ وقديما كان صلاح الدين يفتح التكايا ليغرى الناس بالارتخاء عن العمل وعن الكلام كما أشرت . وبعد ثورة ١٩ أنشأ الاستعمار شركة الاسطوانات لتنشر بين الناس الاغانى التافهة بعد ان عانى من وطنية نشيد سيد درويش .

ثم يرى فى الافلام أو الاحلام أساليب أخرى للعيش والحياة فيدرك انه يعيش ولا يحيا لو جاز ان الرغيف المخلوط بالتراب ، والشارع المملوء بالعذاب ، والمرافق المتهرئة ، تسمى عيشا .

الانسان المصرى يفتقد الاحترام ، ويفتقد الصدق ، ويفتقد الانتماء ، ويفتقد الاختيار ، ويفتقد الكتاب والصحيفة ، ويفتقد الحديقة والساحة والموسيقى .. يفتقد المسكن الصحى والمناخ العلمى .. يفتقد القدوة .. الجامعة الحقيقية بعد أن غدت جامعاتنا تعمد الى تعليب الطلاب فى المدرجات والمعامل فلا يستفيد الطالب علما ولا يعرف أستاذا فالاختناق المددى المفروض فرضا

لا تقوم معه صلة بين طالب وأستاذ ، وهى أهم سمات الحياة الجامعية .

فاذا تخرج على هذه الحال التعسة فانه يفتقد العمل المقصود ، ويفتقد الفراغ المصقول ، ويفتقد الكثير من مقومات الحياة الكريمة حتى غدا الانسان ينشد جمعية كجمعيات رعاية الحيـــوان وأصبح الشباب المصرى نهبا لمختلف الدعوات هروبا من واقع شقته تشبثا بفد برتجيه أو هكذا شبه له .

أعرفتم لماذا ينـادى الشـــاب الذكى المثقف بجمعيـه تستهدف الرفق بالانسان ؟

لقد استعرضت مشكلة الشباب فى خطوط عريضة وكثيرة يحتاج الرئيسى منها الى تفصيل أكثر مثل :

محنــــة الثــقافــة

ان الانسان ليصيبه الدوار حين يجـد نفسه عاش عصرا ألفيت فيه يوما بقرار واحد ، في وقت واحد ، وزارة الثقافة ووزارة البحث العلمى ، ووزارة التعليم العالي .

دوار أن تلغى هذه الوزارات حين تقوم وزارات أخرى ليست من الثقافة أو العـلم ، وليست للثقـــافة أو العلم .

دوار أن تنضم وزارات القيم الى وزارة القراءة والكتابة أى التربية والتعليم .

وكم أميين بين الذين يقرءون ويكتبون .

ويطفو من محظوظي الادبى هذان البيتان :

بالعلم والمال يبنى الناس ملـــكهم
لم يبن ملك على جهـــل واقلال

هذا بيت .. أما الآخر فهو :

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم ســــــادوا

وأصمت قليلا أو كثيرا .. وأســــمع ما بينى وبين

نفسي صوت الصمت بعد أن عجز صـــوت الـكلام ، أو احتبس صوت الكلام .

في النصف الاول من القرن العشرين تحدينا الاستعمار بالجامعة .

وفي النصف الثانى من القرن العشرين تبعنا الجامعة لوزارة التربية والتعــــليم أى انها آلت الى مدرسة بعد الثانوية .

في النصف الاول من القرن العشربن كانت ترتفع في حياتنا أعلام كل منهم مدرسة وجامعة ووزارة للثقافة دونها الوزارات وهواتها .

كان يعيش بيننا : العقاد ولطفى السيد وطه حسين والمازنى وأحمـــد حسن الزيات وحسين هيكل ومنصور فهمى ومصطفى عبد الرازق والعبادى وعبد الوهاب عزام والخولى وأحمد أمين وعبد الحميد بدوى وعبد العــزيز فهمى ومصطفى مرعى أمد الله فى حياته .

كانوا أعلاما فى الثقافة .

وكانوا اعلاما فى الكرامة .

وكانوا أعلاما فى الحرية .

وكانوا أعلاما فى الرأى .

وكانوا أعلاما فى الريادة الفكرية .

كانوا يمثلون حياتنا النفيسة . واليوم لم يعد أحد بمثل هذه الحياة النفيسة لاننا نعيش ولا نحيا .

ليس رثاء لوزارة الثقافة وقتئذ فلم تكن هناك ثقافة او وزارة لها . لقـــد كانت النصف الاول من اللافتة النحـاسية اى وزارة الاعلام . واعلام فى باب واحـد فقط .. مقرر ومكرر نتجرعه .

ليس رثاء لوزارة الثقافة وقتئذ التى كان معظم كبار المسئولين فيها ممن لا يمتون الى الثقافة من بعيد أو قريب بل لهم « ميادين » أخرى .

ليس رثاء لوزارة الثقافة فقد كانت قائمة ولها كرسى وثير فى استاد الوزارات ووكلائها ثم سرقت لوحات معبد دندرة ...

● وهدد الدمار معبد الكرنك بسبب بحيرة السد العالى ..

● ونصلت الالوان فى الدير البحرى .

● وبيعت هضبة الاهرام بكل ثقلها التاريخى والحضارى .. ولما كشف تقرير لجنة الخبراء ، المحتالين العالميين الذين دافع عنهم ثلاثة وزراء محترفون، وألغى المشروع ، عندما أهتز الضمير العالمى ، تثاءبت وزرة الثقافة وفركت عينيها ثم أصدرت حياها الله فرمانا بأن الهضبة منطقة آثار . وابتسم العالمون فى مرارة أو ضحكوا .. ولكنه ضحك كالبكاء . كأنها عرفت لتوها .

● كانت وزارة الثقافة قائمة وسرق متحف محمود خليل مرات .

● كانت وزارة الثقافة قائمة وبنى الكوبرى الذى يجتاح جزءا من أرض المتحف . وأهم من هذا يهدد بالاهتزازات المتحف كله بالدمار .

● كانت وزارة الثقافة قائمة واحترقت الاوبرا بنفائسها وفيها مركز اطفاء وعلى بعد خطوات منها المركز الرئيسى لمطافى القاهرة !

الامجاد كثيره ومريرة تشكل فصولا فى مأساة الانسان المصرى والشباب المصرى .

والآن ببقية أمل فى البلد الجريح ماذا نحن فاعلون ؟

نريد تخطيطا للثقافة مدروسا ثابتا يشترك فيه من أعطوا الثقافة عطاء حقيقيا لتكون لنا سياسة ثقافية ثابتة لا تخضع لاهواء كبير أو سلطة من السلطات .

نريد تخطيطا علميا كاملا للآثار فلا يسافر متجولا . الا المكرر وليس النادر والنفيس يعرض للمخاطر والتقليد كما حدث لقناع توت عنخ آمون .

لقد رفضت ألمانيا أن تعير مصر نفسها ، رأس نفرتيتى ، وفى مقابل مجموعة من الآثار طلبت عرضها بها !! وكان الرد أن أقصى عن منصبه أستاذ الآثار ورئيس الهيئة !! وقتئذ .

نريد حراسة مكثفة حول كل أثر باعتباره أغلى من المال فلا يحرس معبد دندرة خفير مرتبه الشهرى بضعة جنيهات ثم تسرق اللوحات من الجدران بهدوء ودراسة وتكتيك شأن الآمن غير المعجل .

نريد تسجيلا علميا لكل نقش وخط .

نريد حرما لكل أثر هو ما نسميه البيئة الاثرية فلا تقف الجمال والحمير الى جوار الهرم الاكبر ، وتزاحمه كافتيريا تتناثر زجاجاتها الفارغة على الارض حوله .

نريد بيئة أثرية حول هرم دهشور فلا تقام المصانع بمداخنها فى أرضه ..

نريد حلا علميا عاجلا للنكبة التى نسميها بحيرة السد العالى التى يمحو البخر الناجم عنها ألوان الدير

البحرى وتهدد مياهها معبد الكرنك الذى ارتفع منسوب الماء فيه .

نريد تخطيطا علميا للثقافة يرعى فنون خان الخليلى التى تنقرض وتندثر .. تخطيطـــــا يرعى فنون مصر التقليدية ويخرج فيها الاجيال جيلا بعد جيل .

نريد تخطيطا علميا شاملا للثقافة يأبى أن تكون مصر مهد الحضارة بعلومها وفنونها وعقـــائدها ، مقلب زبالة نووية للنمسا أو لغيرها .. والنمسا مساحتها ٨٣٫٨٥٠ كيلو مترا مربعا وعدد سكانها ثمانية ملايين أى بمعدل ٨٩ شخصا للكيلو متر المربع بينما نجد مساحة الوادى أو الشريط الاخضر الــذى نعيش عليـــــه اذا استثنينا الصحراوين ٣٥٫٥٠٠ ك . م اى بكثافة ٧٣٢ شــخصا للكيلو متر المربع .

والدراسات التحليلية والتفصيلية التى قام بها معهد التخطيط القومى بشأن التنمية الاقتصادية والاجتماعية تقول : ـ الاهرام ١٩٧٨/٧/٢٥ ـ « أن هناك ما يربو على عشرين مليونا من السكان سيزيدون فى العقـــدين القادمين يحتاجون الى تدبير فرص عمل ومصادر رزق وخدمات متنوعة وأن البديل المطروح لعلاج ذلك هو حتمية الخروج من وادى النيل ودلتاه الى الصحراء الشرقية التى تمثل ٢٨ ٪ أو الصحراء الغربية التى تمثل ٦٨ ٪ من مساحة مصر أو الاتجاه لكليهما » .

وقد أشار العـــالم الدكتور فاروق الباز باستثمار الصحراء المصرية .

فكيف يتسنى هذا كله . فى حالة دفن النفـــايات

النووية ؟ التى أثبتت الدراسات الذرية العلمية خطورتها؟ فصلا عن الاعتبار الحضارى والقيمى .

نريد تخطيطا علميا للثقافة يستهدف تعميق الوعى بدور مصر الحضارى وعطائها الحضارى وانجازاتها الحضارية تعميق الوعى بالتاريخ المصرى بمعاليه ومآسيه على السواء فان أقوى عطاءات مصر ، انما هى الشخصية المصرية نفسها .. الشخصية المصرية التى استطاعت أن تستوعب الهزيمة والنصر .. العزة والقهر ، العسر واليسر ، الالم بعذاباته ، والقيد بجراحاته استوعبت مصر هذا كله واستقبطت مصر هذا كله وظلت بكل الجلال ، مصر .

نريد تخطيطا علميا للثقافة يعمل على خلق واشاعة « اسلوب شخصية » كنا فى القرن الماضى نسمى كل ما يروق « عثمانلى » وفى القرن الحاضر نسمى ما يبهر « مودرن » أما الشيء النابع من جذورنا فى الريف والحضر فهو « بلدى » نستعلى عليه ونعرض عنه ونزهد فيه .. أقولها وأكررها بقدر ما تحز فى نفسى .

نريد « أسلوب شخصية » يتميز بين ألف أسلوب .

نريد « أسلوب » فى الفن وفى المبانى التى يجب أن توافق عليها هيئة علمية فنية تمثل فيها كليات الهندسة والفنون الجميلة ، وفى الصناعات وفى النسيج وفى الزى .

أسلوب شخصية يعلن عنا ويترجم أعماقنا يستند الى قاعدة من ماضينا وينطلق من حاجات حاضرنا حاملا مستقبلية فى حلقة كاملة متكاملة .

ان المعاصرة وعى بالماضى واحساس بالحاضر واعداد واستعداد للمستقبل .

المعاصرة استقطاب لاحسن مافى الماضى فى محاولة اضافة خصبة اليه تكون بدورها ركيزة للمستقبل فتتواصل الاجيال في عطاء يتجدد ولكنه يحتفظ بطابع معين هو سمة له ومذاق خاص وأسلوب شخصية .

نريد تخطيطا علميا للثقافة يجعل الاجهزة العاملة في الحقل القومي تتفياه وتتوخاه وتترسمه دون سيطرة ادارية أو تبعية روتينية .

فالاذاعة والتليفزيون تحت أى اسم من الاسماء يجب أن يكون تركيزها الاكبر والاهم على مصر ورسالتها بحدودها لا الجغرافية فحسب ولكن المعنوية من دين وعلم وفن .

لقد عشنا زمنا لا نذكر سينا حتى فوجئنا باجتياح العدو لها .

لا أنكر ان هناك دراسة موسعة معمقة قام بها المجلس الاعلى للعلوم ١٩٦٠ هى موسوعة سينا .

دراسة لسينا ولكن هذه الدراسة لا يدرى بها أحد لان الصحافة والاذاعة كلاهما مشغول بأشياء زائلة .

التركيز على مصر هو وحده الذى يهم الناس لانها وجودهم واسمهم وترابهم .

التركيز على مصر بالكلمة والكاميرا والصوت كل محافظة بالتوالى يجب أن تدخل وجدان المواطن المصرى من خلال الشاشة والميكروفون ليتعرف كل منا الى كل شبر من أرضه .

وبعد هذا سموا التخطيط المنشود وزارة او هيئة أو غير هذا من أسماء فقد شبعنا عناوين براقة حتى

غدا العزف على الالقاب . موسيقى القرب لاتطرب الذوق الفنان أو العلم الدارس .

في مساء الاحد ١٩٧٨/١٢/١٧ سمعت محاضرة كبيرة من الانسان العالم المفكر المغفور له الدكتور محمود فوزى . كان الموضوع عن الثقافة فى بناء الانسان .. فى محاولة جاهدة تطب لاحد الجروح الكبيرة فى أعماق الانسان المصرى بالذات .

وطوف الدكتور محمود فوزى فى محاضرته وطاف . وألمح الى البـــلاد التى انتصرت على الامية فى الشرق والغرب .

وقد فجرت هذه المحاضره مناقشات كثيرة اشترك فيها اعلام الفكر من الحاضرين .

وانتهت المحاضرة وانتهى معهـا اليوم ولـكني أعيش فيها ...

نحن نتمتع بأميتين .

١ ـ أمية غير المتعلمين أى الجهل بالقراءة والكتابة عند الغالبية الساحقة .

٢ ـ أمية المتعلمين أى ضحالة الثقافةوسطحيةالقراءة: شكلا وموضوعا من تخفف وتعجل واجتزاء . لقد سمى الاستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة ، أدب الاربعينات « أدب السندوتش » فماذا عساه يسمى ما نحن فيه اليوم ، لو كان بيننا .

أمية المتعلمين التى تفتقد العمق والاصالة والموضوعية والشمول .. تفتقد فن التـذوق وفن الرؤية ، وفـن التعامل مع الاشياء والقيم ، وفن الحديث ، وفن البحث وفن التلقي وفن الكيف وأخيرا فن الحياة .

نحن نعيش ولا نحيا . و « نحن » هذه تنسحب على المتعلمين والمثقفين فضلا عن الاميين بالطبع .

والمقاييس الدالة كثيرة .. لقد تتبعت العناوين الرئيسية فى الصحف على امتداد عام فوجدت عجبا لا أريد تفصيله في هذه السطور فهو موضوع ذو مؤشرات عدة الى الخواء التعس الذى نعيش فيه يستحق ان تفرغ له الكتابة ويفرد الحديث وقد امتد بى التحليل الى أجهزة الاعلام الاخرى من اذاعة وتليفزيون وهيئة الاستعلامات محصلة هذا كله مجتمعا ومتفرقا له دلالات تستوقف الدارس طويلا .

فاذا اضفنا الى هذا مناهج المدرسة المصرية واسلوب التعليم فيها ، ووسائله ، اكتمل التشخيص وعرف السبب الكامن وراء ما نشكو منه من انبهام الرؤية ، وانعدام الهدف ، وافتقاد الذاتية ، وسيادة الشعارات وما يتبع هذا من تجوف فى المعنى ، وتخوف من الرأى ، وخلاء من القيمة ، وخواء فى الشخصية هيهات أن تملأه الاغانى التافهة الكاذبة ، وما أشبه من هوان .

سأتناول فى البداية أشهر الاميتين وهى جهل القراءة والكتابة .. هذه نستطيع أن نتغلب عليها اذا جعلنا من المسجد والكنيسة مركز اشعاع فعز المسيحية يتمثل فى « موعظة الجبل » ، وعز الاسلام يتمثل فى الآية الكريمة « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

هذه الآية فاصلة بين عهدين ونقطة تحول كبرى فى

تاريخ الاسلام الذى احترم الانسان يوم دعا الى العلم ، والتفكير والرأى والشورى والاخوة الانسانية .. حتى الرسول نفسه وصفه القرآن بأنه رجل من رجالنا .. وانما جاء فضله من صنع الحياة على أرضه ، واثرائها بقيم الحق والعدل والخير والضمير . جاء فضله لانه كان عفا شفا ، وعلى خلق عظيم وفى الذروة من طهارة اليد والنفس والقول والعمل حتى لقب بالصادق الامين .

وليس كالصدق والامانة ، قياسا وعلامة عند تقييم الرجال فى ميزان الرجولة ، وتوصيف البطولة ، وحساب التاريخ .

ليس الدين ، الطقوس والنصوص على أهميتها ووجوبها ولكن الدين فى جوهره هداية قلب ونور عقل ، وسلام نفس ولملمة شتاتها . وليس كالعلم طوقا للنجاة ، وأسلوبا للحياة ، ومرقاة — اذا صح — الى ذرى القيمة فى العمل والتصرف والسلوك .

أن يقوم المسجد والكنيسة بالتعليم فى غير الجمعة والاحد فيه شفاء للناس من الجهل والتعصب ، والتقاء لابناء الامة على هدف ، وصفاء للضمائر والاعمال والغايات . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

ان يقوم المسجد والكنيسة بالتعليم ، فرض كفاية ، وزكاة نعمة ، وضريبة وطن وقف وراء الاديان وعلم الانسان ، وخلق الحضارة وزكاها وأهداها .

يأتى دور الدولة التى تقذف بالصبيان والبنات الى المدارس الثانوية بلا تمييز ، ثم الى الجامعة ثم الى الشارع ، حتى تقوم القوى العاملة بالقائهم بدورها

كيفما اتفق فى دور الحكومة ومصالحها لا للعمـل بل لتعويق العاملين ، ان وجدوا ، وفى هذا هدر للطاقة .. واهدار لانسانية الانسان مرتين : مرة حين يتقاضى أجرا بلا عمل ، ومرة أخرى حين يحرك من خارجه ويعمل غير ما يريد بلا حب بلا فن .. بلا خلق .. بلا تحقيق ذات ...

ألم يحن الوقت لتخديم هذه الطاقات الشابة فى محو الامية بمرتبات كاملة منذ تخرجها الى أن يتم تعيينها فى مجالات تخصصها ؟

يأتى دور المحافظات والمحافظين ...

ولو أنى أومن بأن هذا الدور لن يكون له فاعلية حقيقية الا يوم أن يكون هذا المنصـب بالانتخـاب لا بالتعيين ليعطى المحافظ وقته وتفكيره لاصحاب الفضل الحقيقيين من الناخبين ودافعي الضرائب فلا ينصرف همه الى غيره مما شهدناه من مآسى التقامؤ والامتهان والتنافس فى دق الطبول .

لتكن منافسه بين المحافظات فى محو الامية بالجهود الشعبية والادارية فى وقت واحد ... منافسة يشترك فيها الكتاتيب والمساجد والكنائس والقاعات والساحات الشعبية .

ان الكتاتيب أرخص تكلفة فالكتاب حجرة أو حجرتان ولايستأدى الطفل أو أهله ملبسا خاصا أو كراسة أو أدوات حديثة .

والكتاتيب لها فى نفوس أهلنا فى الريف مكان وذكر عاطر فهى التى علمت طفولة طه حسين وأم كلثوم ورفاعة الطهطاوى وعلى مبارك .

والكتاتيب حين تحتشد لتحفيظ القرآن الكريم وتحتفل

بجدول الضرب فتروى الوجدان وتصقل اللسان وتدرب الطفل على الحساب والاعداد .

وليس بالقليل هذا فان بين خريجى الجامعات اليوم من لا يقيمون جملة ولا يحسنون صنعا . ومن الوسائل :

التعيين فى الحكومة فى الوظائف الصغرى اليدوية يشترط القراءة والكتابة ثم يمتد هذا الى القطاع الخاص .

الترقية فى الوظائف تشترط شهادة بمحو امية عدد مفتوح ليكون مجالا للمنافسة على الترقيات .

منح الجوائز للمستجيبين من متعلمين ومعلمين .

تجنيد طلبة المدارس الثانوية والجامعات فى العطلة الصيفية لهذا الفرض وبأجور مجزية بل مغرية ، ليعلموا الكتابة والقراءة ، ويتعلمون معانى كثيرة منها نعمة العمل ولذة الكسب وملء الوقت وقيمة الخدمة العامة ، والانتماء الحقيقى للوطن بالجهد والتضامن والاضافة الخلاقة .

فتح مراكز لتدريب وتعليم الحرف المختلفة للنساء والرجال ثم تقديم الآلات والوسائل لمن ينجح فى هذا على أن يشترط للقبول فى هذه المراكز القادرين بسهولة على القراءة والكتابة . وبهذا نمحو أميتين فى وقت واحد :

- أمية القراءة والكتابة .
- الامية الحرفية وقد غدونا بعد هجرة العمالة الفنية ، فى أشد الحاجة الى البدائل القادرة أو التى تؤدى .

أن توضع خطة مدروسة للاذاعة والتليفزيون تتفيا

اهتمامات هذا الشعب ومصالحه . فان التعليم والتوعية المثمرة لا الدعائية ، بالصوت والصورة أشد جذبا وأسهل تناولا ، وأقدر على الوصول والتغلغل فى أماكن العمل والتواجد سواء فى البيت أو خارجه .

لقد غزا الترانزستور الحقل والمصنع والمتجر لم تبق الا المادة التى تقدم من خلاله وسائل كثيرة للقضاء على الامية ذكرت بعضا منها ولكن أهمها جميعا :

الارادة .

والصدق .

والايمان .

هذه الصفات الثلاث تعين على العمل المكثف فى صمت

وبذل ونقاء يترفع على التشدق ، ويستعلى على التظاهر والمتاجرة ، ويأبى رثاء الناس واشتهاء المدح وابتغاء المنافع .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) .

(وكفى بالله وكيلا) .

أما ثانية الاثافى وثالثتهما فهى أمية المتعلمين . حين كانت أوربا تتسابق فى الفتك من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨ كانت الهند تشغل الدنيا ببساطة وسماحة غاندى ، وشاعرية تاجور .

أن الهند تعرف الثقافة بلفظة « سنسكريت » أى « التطهير » والتفيئر وايقاد الحماسة والتهذيب وتحقيق الكمال ، ان كلمة « اليوجا » معناها النظام .

اننا اذا أنظرنا الى تمثال هندى وآخر مصرى ، نجد خطا مشتركا هو الاستقرار ولسكينة ، غير أن نظرة

التمثال الهندى الى الداخل وكأنه يريد أن يعرف الكون من خلال نفسه ولكن نظرة التمثال المصرى الى الخارج ليعرف الكون والماوراء .

كانت النظرة المصرية شغوفا بالطبيعة .

لقد كان الكاتب المصرى يملك انماطا من الكراسى ولكن جلسته فيها تجميع الكيان .. ضم الجسم لينطلق القلب والعين فى الافق .

هل نعرف الطبيعة ؟ لنعرف معنى الكون الشامل ؟ مرقاة الى معرفة قدرة الله ؟

ليس شاعرية أو رومانسية ولكنها دعوة الدين نفسه الى النظر فى خلق السموات والارض والنفس والآفاق .. وهل الوصول الى القمر الا كشف من كشوف الطبيعة ؟ ولكننا ، مدارسنا فصول مغلقة وبيوتنا حجرات مغلقة ، وأفكارنا تبعا لهذا آراء مغلقة .

يقول الدعاء الهندوكى :

يا رب اغفر لى خطاياى الثلاث :

عبدتك فى مكان وانت فى كل مكان

وناديتك باسم وتعاليت عن كل اسم

ورأيتك فى صورة وانت خارج كل صورة

ويذكرنى هذا بفقيه الكتاب الذى كان يحفظ الصبيان هذه الجملة يأمر واحدهم أن يقف ليقولها ثم يجلس ليقولها آخر :

الله موجود فى كل الوجود .

وكان الصغار السذج يعجبون من « سيدهم » وما دروا أن هذه الجملة يقف وراءها فيوض من المعانى فهى تشير فيما تشير اليه ، الى مافى الكون من :

نظام شامل ـ قدسية ـ لا محدودية ـ ولو سرنا فى هذا النور لتغيرت علاقتنا بكل انسان .. بكل شىء .. الى أرفع وأكرم وأصفى .

هل نعرف فن الكيف ؟

نحن نحب الضخامة ، أثاثنا مثقلات ، طعامنا ثقيل على المعدة والجيب معا .. حديثنا أطناب ، كتابتنا ولوع بالمقدمات والحواشى حتى احتجنا الى التلخيص وتلخيص التخليص كما يعرف المشتغلون بالتراث .. لقد شكلت مصر قديما الخشب أجمل ما يكون التشكيل لانه كان قليلا عندها فأحالت فقر الكم الى غنى الكيف . ولكن الامم فى عصور ضعفها تتكثر بالفضول فتتزيد ولا تقول ، وتسهب ولا تؤدى لانها تعيش فى دوامة من همومها .

هذا فضلا عن أن الحضارة الحديثة على نقيض الحضارة القديمة .. الحضارة الحديثة كم لا كيف .

ناطحات السحاب بناء .

ولكن الهرم عمارة .

أى بناء حلت فيه القيمة وسكنت .

الهرم يشغل الفضاء بالكم ولكنه فى الوقت نفسه يشغل الارض بالكيف ، ويشغل التاريخ بالتسجيل ، ويشغل الناس بالتفكير .

أما ناطحة السحاب فهى ديناصور العصر الحديث .

ولكن روعة الخلق فى النملة بدقتها الجسمية والتنظيمية . أكثر منها فى الديناصور الضخم . وكذلك روعة الخلق فى الاناء المصرى حتى فى عصر ما قبل الاسرات حين يختزن الصمت فى جمال وروعة ، فى نضارة القلب البشرى لم يعله سأم الحضارات .

وأحس الادب بهذا والفن رادار لا يخطىء ، فالكاتب

الامريكي جيمس دورت يقـــول فى روايته « العدو »
« بدأت أهتم بتأثير صور كتب الاغريق وكتب الرومان وغيرهم بعد ذلك بالمباني وعمارة الماضي . واذ رأيت كيف كانت الابنية القديمة جميلة التناسق . شـعرت بذلة شديده مبعثها أن مباني عصرى واضحة التخلف » .

هل نعرف قيمة لفن :

هل نحترم المسرح ؟ هل نسمع الموسيقى ؟ هل نقدس الكلمة فلا نريقها فى غير موضعها ؟ هل نترشف الصمت والنور والظلال ؟ هل نتذوق الجمال ؟ هل نعرف الجدل موقف اختيار لا شهوة انتصار ؟ هل نتخلص من الصخب في الالوان والاصوات ؟ هل ترشد مناقشتنا وترق فى التعبير وتدق من الموضوعية فلا تغـدو والالفاظ (بنج بنجيه) يضل فيها المنطق وتغيب الحكمة ؟

هل نستهدى قيمنا الاصيلة ؟

هل نعرف قيمنا كشعب ؟

لا أحسب . ولو كنا ندرك معنى كلمـــة « شعب » لفكرنا لانفسنا وتحركنا بأنفسنا وتصرفنا بحساب وطالبنا بالاسباب ومنحنا بقدر ، وصنعنا الكلمة والقرار ، ولكننا منذ كيلوبطرة ، كما يقول شاعرنا شوقى ، شعب طيب يوحون اليه . وينطلى كل شيء عليه فى أحيان كثيرة . وكم جراحات تنوشه من كل جانب حتى أثخنتـــــــه الجراح . . .

والمكدودون لا تثريب عليهم فقد كان الامام الشافعى يقول لا تستشيروا من ليس فى بيته دقيق فان عقله غائب كما أشرت . وهؤلاء المطحونون كما تنبىء طوابير الجمعية ليس فى بيتهم دقيق أو خلافة . . .

ولكنى ألوم المثقفين المعجبين بذكاء النعامة ، والمولعين

بالاقنعة ، والمكتفين بالفرجة ، والسائرين فى الزحام .
ومن هؤلاء المتعلمين من يصفون الخاطئة بأنها « امرأة ليل » . وقد يكون الجوع هو الذى ساقها الى الهاوية .. وينسون أن الرجل الذى يداجى فى الرأى ، ويداهن فى القول ، ويتاجر بالتراث « رجل ليل » لانه يبيع مالا يباع.
واذا كان هذا يجرى ، ونحن ندرى أو لا ندرى ، فهل نحن مثقفون ؟
ان الثقافة أسلوب شخصية .

من الثقافة ، الارتفاع فى الحديث ، والامتناع عن الترخيص ، والموضوعية فى التفكير والتعبير ، والقصد فى القول حفظا للوقت وحفاظا على النفس .
من يقرأ صحفنا فى النصف الثانى من القرن العشرين يجدها تعيد سيرة شعراء العباسيين ، حتى تشابهت الى حد التطابق أحيانا ، فى العناوين والمضامين فتستطيع احداها أن تغنى عن سائرها .
وشعراء العباسيين هؤلاء ، كانوا فى عصرهم صحافته السيارة . وقد ملأوا الادب العربي مدحا أى كذبا ونفاقا حتى كان بعضهم ينتقل بالقصيدة من ممدوح الى آخر بعد أن يبدل الاسماء ! وأساء هؤلاء الشعراء الى أمتهم مرتين :
الاولى : حين أهدوروا قدرها بعدم الاختيار الاكرم . لم يقفوا الى جانبها يطبون لآلامها ويغنون أشواقها هى بل اختاروا السلطة طمعا فى المال أو المنافع مما لا يقاس فى ميزان التاريخ بالقيم الحقيقية التى تبقى ويشرف بها صاحبها ولا يهون .
والثانية : حين وصموا أمتهم بالملق والنفاق فان الفنان

عنوان شعبه بما يمثل الفن من جوهر الشعوب ووجودها النفيس .

لا أنكر أن الادب العربى به روائع كثيرة ولكنه أيضا به مدائح ملوكية كثيرة أى فضائح خلقية .. فليس فضيحة أفدح من أن يتبوق انسان أى يصيح بوقا . ان المرء كما يقول رسولنا الكريم ، بأصغريه قلبه ولسانه ولكن « البوق » يعكس تفكير انسان آخر لا تفكيره ، ويتكلم بلسان آخر لا تعبيره .. انسان مثله ولكنه يتقامأ له ويتصاغر حتى يصير صغيرا وتكون « المسافة » أو الفرق بينهما كبيرا ..

هؤلاء الشعراء الابواق يقفون فى طابور طويل فى تاريخ الادب العربى . ولم يسلم من هذه التبعية ، المتنبى على كبرياء يزعمها لنفسه . ولو كان كبيرا ما أراق شعره على أعتاب سيف الدولة ثم على أعتاب كافور وهو يعرف عنه ما يعرف حتى قال فيه يوما بعد أن أعياه تحقيق غرضه الذى نافق من أجله :

لا تشتر العبد الا والعصا معه
أن العبيد لانجاس مناكيد
نامت نواطير مصر عن ثعالبها
فقد بشمن وما تفنى العناقيد

وكان الملوك أو أسيادهم أيا كانوا يعرفون أنهم أرقاء ، لا شعراء ولا أدباء ... يعرفون أنهم اذلاء .. شعراء ركاب ، وكتاب زفة ووسائل زينة للعهود ، وحريم السلطان .. كل سلطان .. لا يقيم لهم حر ، وزنا ولا يحفل بهم تاريخ ، ولا يبقى منهم شىء لانهم لم يقولوا شيئا يبقى .

فكثيرا ما يقسو المجتمع كما اشرت على امراة ليل قد يكون الجوع دفعها الى اقتراف الاثم ولكن على المجتمع أو أغلبه ينسى أن هناك رجل ليل أيضا .. ينسى أن بيع الهوى وبيع الولاء واحد .. انه بيع نفس وكرامة فى الحالين . انه بيع ما لا يباع .

ولكن الملوك أو أسيادهم كانوا يبقون على المداحين بل يغمرونهم بالمال لانهم كانوا يقومون بالدعاية لهم . فهم مجلات ذلك العصر ..

ولا يضير الادب العربى أن تسقط عشرات القصائد اراقها أصحابها على الابواب وأراقوا معها آدميتهم فلم يرتفع بهم فن ولم يشرف بهم ذكر وان نظموا القوافى أو حبروا السطور حين خلد « البوصيرى » بقصيدة واحدة تعطرت بذكر الرسول حبا وكرامة لا طمعا أو هلعا او نفاقا .

لقد هاجم الجاحظ فى « البيان والتبيين » أدب النفاق كما هاجمه العقاد والمازنى وشكرى أعمدة « مدرسة الديوان » فى مطلع القرن العشرين ثائرين على الهوان ان يكون الشاعر أو الكاتب نديما لكبير ، أو سميرا فى مجلس ، أو بوقا للملك ، أو ظلا لآخرين تحت مختلف الاسماء .

وحين يعم النفاق ، ينتفى الصدق .. ثم يتضخم الكذب فيغدو مانشيتات عريضة كالمارشات العسكرية وقد يحس أصحابها ثقلها فيكسرون الملل بتلوين هذه المانشيتات فتطلع علينا مرة خضراء ومر صفراء ومرة بنفسجية ولكن الحقيقة تظل بعد هذا مرة المذاق .. وهكذا يقضى النفاق على الصدق والمعانى الحلوة والاشياء الجميلة فى الحياة وتفقد المسميات أسماءها ومدلولاتها .

وحين تصل الامور الى هذا الحد ، يحس الانسان أن كل شيء ضاع أو ، تاه ...

وبين التيه والتمويه تختل المقاييس ، وتهتز القيم ، لان النفاق يتبعه الوصولية والتبعية فيهون النجاح لان طرقه ملتوية ، والثقة فيه معدومة .

نحن نتحدث كثيرا كمـــا قلت مرة عن المرافق المتهرئة ، وعن الشـــوارع المتحفرة ولا شك أن تخريب الأرض مما يحزن والذى يحـــزننى أكثر هو تخريب « الانسان » المصرى .

لشد ما يروعنى النفاق الشديد الذى يسود الخطاب فى كل وزارة وكل ادارة وكل مكتب من مكاتب الحكومة حتى كأن كلا منها « حرملك » أو حريم السلطان كمــا أشرت كل واحدة تترضاه وتتزين له !

هل نحن تحررنا من الخوف حقيقة ؟!

لا أصدق طالما نخلع الالقاب جزافا ، ونرفع السلطة من أى نوع ومستوى فوق حجمها الحقيقى .

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. هيهات أن نتغير ما دمنا لا نحترم أنفسنا ولا نقتصد فى الكلام ، ولا نمل الهتاف ولا نكل من دق الطبول .

ويروج النفاق حيث الامعان فى المادية ، والخلو من القيمة مما يجعل أى انسان ينافق من يملك له النفع المادى .. ولا ينهض هذا عذرا عند أحرار النفوس فالافغانى ترفع على الملوك وهو فقير لانـــه عامر النفس بالقيمـــة الحقيقية .. الدين والفكر والعلم ، ولانه زاهد فيمـــا بأيديهم بل كانوا هم الذين يخشونه ويتلمسون رضاه . فقد طلب شاه الفرس الى سلطان تركيا التوسط له عند الافغانى فقال العالم : (قد عفوت عن شاه العجم . قد

عفوت عن شاه العجم) !
زار الخديوى اسماعيل مع السلطان عبد العزيز الأزهر فاذا برجل يمد رجله ، وظل يمدها ولم يغير ، جلسته .. ففزع الخديوى وأرسل اليه أحد رجاله بصرة لكى يفعل ما يفعله المستقبلون فقال «الرجل» لرسول الحاكم.
ــ ان من يمد رجله لا يمد يده .
ما سر هذه الظاهرة التى تشقينا ؟ انه مرض عبادة البطولة يمثله تعلق القرية بالمشيخة .. ان الشيخ تعمله القرية ثم تصدقه وبعد أن يستقر له الامر فى مفهوم الناس ونفوسهم يأخذ وضعا ممتازا فيأكل الاحسن بمزاج الناس ، ويعيش أحسن برضا الناس ، وقد ينتبه واحد فيطلق المثل « رزق الهبل على المجانين » ولكن حكمته تضيع فى الزحام .
لقد كرم الله الانسان حين اصطفاه على الملائكة وفى هذا دعوة الى تكريم الكيان واحترام الذات . ومن هنا يكون النفاق كفرا بالمعنى الدينى والاجتماعى فما معنى « اياك نعبد واياك نستعين » ان لم تكن العبادة لله وحده ، واللياذ به وحده .
كيف نصلى بهذه الآية ثم نتخذ من دونه أربابا ؟
ان نحتاج فى أواخر القرن العشرين أن نجدد دعوة مدرسة الديوان ، ونردد ما نادى به العقاد والمازنى وشكرى من احترام الذات ، والارتفاع على القماءة أى النفاق .. نكسة .
أن الاستقلال لا يتجزأ .. فاذا كان هوانا تبعية أمة لامة ، واحتلال دولة لدولة ، فان هوانا بالقدر نفسه تبعية انسان لانسان،ومسخه فيغدومطيةله،وقلماولسانا.
أن الانسان : موقف وسلوك .
ولهذا أرى النفاق ، محنة .

محنة النفاق

لماذا النفاق ؟

لابد من مواجهة حقيقية لمعوقاتنا . لقد سئمنا قولهم المعاد « بناء الانسان المصرى » .

جملة غدت شعارا فى طوفان الشعارات .

هذا الانسان كان بناء باذخا من عمل ألوف السنين .. ما الذى خربه وحوله أنقاضا ؟

سؤال نقف عنده قبل الشروع فى البناء من جديد حتى لا يتعرض مرة أخرى للهدم والتحطيم .

الانسان المصرى يفتقد الضمان والامان فى عمله وعلى نفسه .. لهذا يدارى مرة ويرائى مرات ، تقيه أو هروبا. يقول الاستاذ أحمد لطفى السيد فى « المنتخبات » .

« هذه الرذيلة .. رذيلة الرياء يستخدمها بعض الناس وسيلة للنجاح فى الحياة وهى حقيقة وسيلة نافعة فى البلاد الاستبدادية التى يتوقف نجاح الفرد فيها مهما كان كفئوا على رضا السلطان وأعوانه ، وأنه لا شىء يرضى السلطان الا العبادة ، وما الرياء الا ضرب من ضروب تلك العبادة .. فالذى يرضى أن يبيع نفسه عمدا ليشترى بثمنها قوتا يعيش به ، استبعد عليه جدا أن يكون حافظا للصورة التى خلقه الله عليها .. صورة الحرية .

وما مثل هذا النجاح بريائه الا كمثل الـــذى ينجح فى الحصـــــول على الثروة من طريق السرقة ، فبئست الوسيلة ، وبئست الغاية » .

ثم يقول :

« الرياء مرض من امراض النفس .. ذلك المرض اذا لم يعالج بالتربية تتضاعف أعراضه شيئا فشيئا حتى تموت فى النفس خاصة الذاتية ، خاصة الشخصية » .

جاء فى « العقد الفريد » لابن عبد ربه الاندلسى .. عن زياد عن مالك قال : قال النبى « ص » « اياكم والشرك الاصغر . قالوا : وما الشرك الاصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء » .

والدكتور احمد أمين فى « قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية » يقف عند لفظة « المداراة » ويقول : والمصريون يتقنونها فمن أمثالهم «ارقص للقرد فى دولته» وقد عرض أستاذنا أحمد أمين الألفـــاظ الملق والنفاق قائلا : « هى كثيرة فى اللغة الشعبية مثل : رب البيت ـ سعادتك ـ عزتك ـ محسوبكم .. الخ .

وعلل هذا بقوله « وربما كان من أسباب كثرة ما يقع عليهم من ظلم الحكام والعسف بهم » .

وفى كتاب « الشعب المصرى فى أمثاله العـامية » للاستاذ ابراهيم احمد شعلان فصل من الشعب المصرى والحكام » يستهله بقوله :

« لقد كانت العـــلاقة بين المصرى وحاكمه على مدى التاريخ علاقة يتحكم فيها أسلوب الشك وعدم الثقـــة المتبادلة فلم يجد المصرى فى حاكمة الا القوة الغاشمة التي انقضت عليه لتسلبه حقه فى المعيشة الحرة والحياة

الكريمة .. وهذه القوة التى لا قبل له بهـا ولا يستطيع بوسائله المحدودة أن يواجهها ، والتاريخ يسجل كثيرا من الانتفاضات التى كانت تنتهى دائما بالفشل وازدياد سطوة الحاكم وعنفه . ان هذه الصورة طوال التاريخ دفعت بالمصرى الى تقديس حياته الخاصة فى أسرته » .

معنى هذا أن سببا من أسباب ارتباط المصرى بأسرته انها تعويض عن الحياة العامة التى يحاصرها الحاكم .

يقول الاستاذ العقاد فى كتابه « سعد زغلول » :

« المصرى علاقته بالحكومة على الاغلب الاعم هى علاقة عداوة مريبة أو مهادنة محتملة لم تبلغ أن تكون علاقة ود يحرص عليه أو ضمان يحميه الا فى الندرة التى لا يقاس عليها . ومن ثم كان محافظا ومتحفزا للتغيير فى وقت واحد ، أو كان محافظا فى مسلكه الذى يدور على أصول الاسرة وعلاقات الرحم متمردا فى مسلكه من ناحية الشئون السياسية والمسائل الحكومية » .

وهنا يتداعى الى الذهن ما حكاه الجبرتى عن حوادث سنة تسع وتسعين ومائة وألف عن فتنة عربان البحيرة واستعانتهم بمراد بك الذى ركب معهم فلما رشاه خصومهم انقلب عليهم وأوسعهم قتلا وتنكيلا ونهبا .

ويجىء المثل الشعبى « السلطان اللى ما يعرفش السلطان » ترجمه ممرورة لهذه التجربة وأمثالها .

والمصرى يعرف انه مسلوب منهوب بالقوة الغاشمة التى كان المفروض فيها أنها قامت لحمايته فيقول « حاميها حراميها » .

وينفس عن نفسه كعادته فيقول ساخرا « اذا كانت الشطارة بالقوة كان الثور ياخذ باشا » .

لقد أعطى الجبرتى صورة بغيضة للعساكر وما يفعلونه مع العامة فقال فى حوادث سنة سبع عشرة ومائتين وألف « تسلط العسكر على خطف النـــاس وسلبهم وقتلهم وخصوصا فى أواخر هذه السنة حتى امتنعت الناس عن المرور فى جهات سكنهم الا أن يكونوا فى عزة أو منعة وقوة » .

وهنا يعلق المؤلف « والمصرى يكره الحاكم فى كل صوره حتى أدناها » .

والشعب المصرى فى قرارة نفسه يتألم من سلوك المداراة التى تنقلب نفاقا بغيضا فيدافع عن نفسه بالاضرار يتفاداها ويطلق المثل :

« اسجد لقرد السوء فى زمانه ، وداريه ما دام فى سلطانه » .

أو :

« اذا دخلت فى بلد تعبد العجل حش وارمى له »

ويترجم الموال الشعبى هذه الحال النفسية فيقول الموال :

حكمت على السبع راح للكلب عند الكوم
لما صحا الكلب قال له السبع صح النوم
أنا أسألك يارب يا مجرى بحور العوم
ترجع السبع يخطر زى عاداته
وترجع الكلب ينبش فى تراب الكوم

كم حكمت الاقدار على الشعب المصرى ولكن الله كانت رحمته تتدخل فى اللحظة المناسبة .

وترجع السبع يخطر زى عاداته .

ان الشعب المصرى ، بعد الله ، هو الباقى . انه يعرف

هذا جيدا ويلقي فيه العزاء .

ويأخذ النفاق صورا شتى فيتفنن عباد الوظيفة من المصريين وطلاب المصالح فى عملقـــــة القزمية بصور شتى .

ويكذب المنافق ويكذب حتى يصدق نفسه بل يرفع عقيرته بالفناء بعد أن يلحن النفاق والكذب .

ويخلع المنافقون الالقاب الفضفاضة على من بيدهم السلطة من كل لون وحجم . ومن يقرأ كتاب « لغة الادارة العامة فى مصر فى القرن التاسع عشر » ، يجد العهد العثمانى قد أسهم اسهاما بالغا فى عملية الالقاب الوهيبة حتى ان السلطان استهل فرمانه الصادر فى ٧ رجب سنة ١٢٨٩ ـ ١٨٢٧/٩/١٠ على الوجه التالى مخاطبا الخديوى اسماعيل وهو الذى يدين له بالولاء !!

« الدستور الاكرم والمشير الافخم المحترم ، نظام العالم ناظم الامم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب ، متمم مهام الانام بالرأى الصائب ، ممهد بنيان الدولة والاقبال ، مشيد أركان السعادة والاجلال ، مرتب مراتب الخلافة الكبرى ، مكمل ناموس السلطنة العظمى ، المحفوف ـ بصنوف عواطف الملك الاعلى ، خديوى مصر الحائز رتبة الصدارة الجليلة بالفعل ، ونيشاننا العثمانى الهمايونى المرصع ، والنيشان المجيدى من الدرجة الاولى ، وزيرى سمير المعالى اسماعيل باشا أدام الله تعـــالى اجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله » ص ٤٣٠ .

ترى ماذا يقول الخديوى اسماعيل للسلطان ؟

لقد تعثرت اللغة في الالقاب حتى غدت مشــكلة لم تستطع الوقائع المصرية أن تغفلها فكتبت فى ١٥ ربيع ١٢٩٨ هـ ـ ١٨٨١/٢/١٤ م عن « مشكلة الكتابة » .

ولكن الشعب المصرى مهما كانت اسبابه ، يحمل وزر هذه الوصمة التى تلطخ صفحته النقية الحافلة بجلائل الاعمال والانجازات . الشعب المصرى ذو الطبيعة المؤمنة العريقة فى التوحيد .

والموحد لا يشرك مع الله أحدا فالامر له وحده و « الذين يتخذون من دونه أربابا لايخلقون ذبابا ولو اجتمعوا له . وان يسلبهم الذئاب شيئا لا يستنفذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » .

شهد الفضل بن الربيع وزير الخليفة الرشيد ، عند القاضى أبى يوسف فرد شهادته فعاتبه الخليفة ، وقال : لم رددت شهادته ؟ قال لانى سمعته يوما يقول للخليفة أنا عبدك ، فان كان صادقا فلا شهادة للعبد ، وان كان كاذبا فكذلك ، لانه اذا لم يبال فى مجلسك بالكذب فلا يبالى فى مجلسى ، فعذره الخليفة . وانما رده القاضى أبو يوسف لما فى كلام هذا الوزير من اذلال نفسه وطاعته لاجل الدنيا .

هذا حين قبل القاضى اياس بن معاوية شهادة عبد العزيز بن صهيب وحده ! وعبد العزيز محدث وثقة احمد بن حنبل ، كان عبدا مملوكا وأبواه مملوكين ، ولكن القاضى اياس اعزازا للعلم واكبارا للعلماء ، تجاوز عن رقّ عبد العزيز بن صهيب لعلمه مع أنه لا شهادة لرقيق ، وقبلها منه وحده والشهادة لاثنين اذ رأى القاضى أن فضل العلم وصدق العالم يغنى عن العدد والحرية .

***

ان النفاق كمرض نفسى واجتماعى له أبعاد كبيرة الخطر :

فجناية النفاق على الديمقراطية .

وجناية النفاق على المجتمع .

وجناية النفاق على الارادة .

انعكاسات وبيلة معوقة تستأدى المواجهة المباشرة .

عندما كثر المال فى بلاط الدولة التركية كان للسلاطين حريم فى القصور ، من النساء والغوانى ، وحريم خارجها من أنصاف الرجال المرتزقة والهتافين والمداحين وحاملى القماقم والمؤمنين على كلام أمير المؤمنين ولو كان خطأ .

الحريم الاول نساؤه يتزين له ويزين له كل شيء ابتغاء مرضاته . .

الحريم الثانى رجاله يقولون له ما ليس فيه وما لا يدعيه ! رئاء هواه أو اتقاء غضبه .

نساء ليل ورجال ليل سواء بسواء .

ويضيع الشرفاء فى المولد ولكن بعد أن تخرس الضجات وتتوارى الامعات وتختفى القماءات والقمامات ويسكن الرقص من كل نوع تسفر الحقيقة كالشمس من وراء الغمام والقتام .

ولكن الشمس قد يتأخر ظهورها ويطول الليل والمعاناة فى ليل الظلام والظلم ثقيلة مرهقة ممزقة ولكنها ككل ليل له آخر .

وفى هذه الاثناء تلجأ الشعوب الى الرمز فى الادب والتورية فى النكتة ، والقصص لانه قادر على رسم الشخصيات والنفوس من خلال أبطاله الخياليين كالمفروض وهم فى الواقع أبطال المأساة الحقيقية بأسماء رمزية .

وتتفشى هذه الظاهرة في الشعوب التى ابتليت بحكم الفرد ، أو منيت بالديمقراطية المزيفة . وهنا تتسع حلبة الرقص على الحبال وتسود البهلوانية والوصولية والانتهازية .

وحين تختفى القيم الحقيقية ، يشقى الانسان - يشقى حين يفقد الصحيفة الشريفة ويفتقد الكلمات الصادقة : والمكان الصحيح ، لان الاوضاع مقلوبة والمقاييس مختلة، وكدابو الزفة يدفعونه من أمام ووراء فى غير حياء . « اذا لم تستح فاصنع ماشئت » . وهؤلاء يصنعون مايشاءون وما يشاء لهم سادتهم . انهم يصنعون كل شيء .. بأجر .. وأحيانا بغير أجر أيضا .

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت ايلام

وأخشى أن تحق علينا هذه القولة فالثقافة عندنا اعلام ، والاعلام عندنا بخور وزور وباطل .

والباطل دولة وألقاب وشارات .

والحقوق وعود وسراب وشعارات .

والمقدسات ممرغة فى سوق البيع والشراء .

والصحف المملوكة للشعب أو المفروض .. مانشيتات شاعرة .

والخطط خطب مرسلة .

والميزانيات بنود مجهلة .

والمشروعات هبات سنيه .

والاستثمارات أسرار خفية .

كل شيء ضاع .. ضاعت الكلمات .. ضاعت الايام .. ضاعت الارض .. ضاع التاريخ ..

الهرم نفسه كاد يضيع .

ضاع كل شيء بأى شيء .

ويشقى انسان العصر حتى يكاد يحسد انسان العصر التركى الذى ننعته بأبغض الصفات .

ان الانسان المصرى لشدة حبه لارضه ، يشقى حين تضيع الارض .

ولكنه يشقى أكثر حين تضيع قيمه التى عاش عليها لانه يعلم علم اليقين انه سيسترد الارض .

يعلم انه الباقى وكل غزاته زائلون .

ولكن حين تضيع القيم والمعانى والمقدسات ، تغدو حياته بلا أشواق .. بلا مذاق . بلا نفيس يحرص عليه .. بلا ، رفيع ، يعتز به ويعتد .

ترى لماذا يكون بيننا ذوات مصونة لا تمس ولو مست هى كل مصون ؟ لماذا ؟

كل انسان يخطىء ويصيب والكمال لله وحده « والعصمة لا تكون الا لنبى » كما يقول الشاعر الطيب الذى يبدو انه لا يدرى أن الانبياء أيضا وجه اليهم التوجيه فى بعض المواضع . ولو كانوا معصومين ما احتاجوا الى الكتب السماوية التى أنزلها الله عليهم لتحكم دعوتهم وترشد بها رسالاتهم .

لابد أن يخضع كل انسان للمساءلة والنقد فالانسان بطبيعته يطغى أن رآه استغنى كما وصفه القرآن الكريم . ان اتقان العمل الواحد امارة كفاية وفضل فلماذا نصر

على ان كل مدير أو وزير أو أى رئيس عمل ، هو الاول والآخر والظاهر والباطن سبحانه أو سبحان الله واستغفر الله الذى لا يوصف بالكمال سواه .

ان الذى يعرف كل شىء لا يتفن شيئا .

والذكى يعرف هذا ويعرف معه كذب قائله وسامعه .

والغبى وحده هو الذى ينخدع عن نفسه . وقد علمنا التاريخ أن الاغبياء يسقطون من حالق متأثرين بغرورهم وقصائد المنافقين .

لقد ولى فاروق عرش مصر صبيا نقيا أبيض الصفحة وأحببناه . وكان فى وسعنا أن نصنع منه شيئا كبيرا ومن أنفسنا معه ، ولكننا لم نلبث أن خلعنا عليه الالقاب بالجملة ولم يكن وهو سليل الملوك ، فى حاجة اليها ولكنها مصيبتنا مع كل من يتولى أمرا .

ملأنا اذن فاروق بالاولويات فهو العامل الاول وهو المعلم الاول وهو الفنان الاول ، وهو العالم الاول ، وهو الملك الصالح ، وأخيرا زعم زاعم منا انه يمت الى النبى عليه السلام فكانت القاضية .

فى ذلك الوقت وحين الزعم الكبير ، كان فاررق قد انحرف فعلا ، وكثرت غزواته الليلية والنهارية ، ولكنه وجدنا نقول هذا فأرسل ذقنه وأمسك بالسبحة من باب الضحك على الذقون .

قلنا له ما لا يدعيه ! ولما ذهب ألصقنا به وبأسرته ما لم يأته .. فعل هذا كل خسيس ما بين يوم وليلة .

نظمنا الشعر عقودا وفبركنا الاغانى لفاروق وغير فاروق كاذبة رخيصة خادعة مخدوعة .

ان الذين رأوا منا الفرب ، لمسوا الفرق بين ذاتية الانسان عندهم وعندنا .

هناك لا يسمع سامع تسبيحا ولا نهلبلا ولا تهويلا .. ان الاتقان والصواب هو القاعدة وما عداه شاذ .. فمن يقم بواجبه فى أى موقع يستمر ، فيه فى هدوء منه ومن حوله . أما من يقصر فانه يحاسب ويسمع أصواتا من كل جانب تقول له قف : من أنت ؟

فى بلاد الديمقراطية الحقة ، الانسان هو الانسان له حرمته وله احترامه كبيرا أو صغيرا غنيا أو فقيرا .. حاكما أو محكوما . فلا يمسخ انسان نفسه بمدح آخر ، ولا يتصاغر ليمجد آخر ..

ومن هنا كنا ندخل أى بلد ونقيم وقتا يطول أو يقصر فلا نعرف أسماء الحكام والكبراء ولا نرى صورهم ، ومع هذا نشيد بهم شعوبا عرفت قدر نفسها واحترمت انسانيتها .

هذا هو سر تقدمهم .. معرفة الحدود والتزامها .. معرفة وجوه الكلام ومتى يتكلم القائل ومتى يعف ومتى يصمت عن كبرياء ..

احساس بالمسئولية ينسحب على الكبير والصغير .

تقديس للحق والواجب .

حساب عن العمل لا يفلت منه كبير أو صغير يعصم من الزلل ويعمل له كل امرىء حسابا .

لان كل انسان بلا استثناء يحاسب . وتضعه الصحافة الحقيقية أمام الرأى العام ، لا ترتكب الكبائر ولا تقترن الخطايا فى غفلة الزمان أو الانسان ..

مصر والتحدى الحضارى

لقد تكلمنا عن التراث والمعاصرة وتمزق الحضـــارات القديمة بينهما وأعنى بالدرجـــة الاولى الانسان المصرى لا سيما وأن الاشهر الاخيرة تقترن بحديث يتردد عن « التحدى الحضارى » المزمع بين مصر واسرائيل . وكم يظلم مصر من يعقد هذه المقارنة وان توافر حسن النية . ان المقارنة الحقيقية بين مصر والغـــــرب الذى قامت اسرائيل به . وتعيش عليه فى السلم والحرب وبغيره لا تكون .

ان مصر أمة واسرائيل دولة وكم بين الامة والدولة من فروق ومقومات وخصائص .

اسرائيل دولة عمرها ثلاثون سنة ومصر أمة قبـــل التاريخ بألوف السنين فآثار مصر المشهودة والمعروضة فى قاعة العصر الحجرى بالمتحف ، تزخر بأدوات الزينة مما يشهد بتفوق حضارى ورفه حضارى يرتفع على مرحلة الضرورة . معنى هذا ان مصر بلغت مســـتوى الاناقة الحضارية منذ عشرين ألف ســنة . ومعنى هــذا أيضا تحضير حضارى وسعى حضارى قبل هذا بآلاف السنين فقاعة العصر الحجرى بالمتحف تقول أن عمر مصر الحضارى

المعروف الى الآن ثلاثون الف سنة لا سبعة آلاف كالشائع بيننا • أو قل أن السبعة آلاف هى التاريخ المكتوب فقط وقد تظهر الكشوف فى المستقبل امتدادات أقدم فى الزمن وأبعادا أطول تؤكد أن النفس المصرية من يومها لم تكن ركيكة تتوسل بالبدائيات بل رقيقة تنشد الزينة وتتحلى وتتعطر •

نفتح الآن كتاب « الفكر اليهودى » الذى يعتزون به والذى ألفه دكتور هرش حاخام انجلترا ، ونقله الى العربية الدكتور الفريد بلوز وطبع فى مصر . فى هذا الكتاب الذى جمعوا فيه كل ما يروقهم يقول ان تاريخ اليهود اربعة آلاف سنة « ولم يقل أمة اليهود » . على ان هذا الرقم ضعف الحقيقة .

واليهود فى كتبهم ومنها « الفكر اليهودى » ومنها تراث اسرائيل الذى أخرجته اكسفورد فى سلسلة التراث ومنها رسائل داجوبرت د . ريونر الذى ترجمته ورددت على مزاعمه ، كتبهم جميعا تركز على التوراة على انها مفخرتهم الكبرى . وهذه التوراة يصفونها ، هم أنفسهم ، بأنها « صرح أدبى بحت » وضع خطين تحت كلمة « بحت » . بينما تراث مصر منذ أقدم عصورها عمارة ونحت ونقش وأدب وموسيقى وهندسة وطب وكيمياء يشهد بها هذا الهرم والتحنيط والمعابد والمسلات وتسابيح أخناتون الذى سجل « جيمس هنرى برستد » محاكاة المزامير اليهودية لها فى كتابه « فجر الضمير » كما سجل نقل سفر الأمثال عن مصر وسجل سبق مصر، فى كتابة الوصايا ، اليهود بألف ومائتى سنة .

وأصالة مصر فى الفنون والعلوم بلغت حد « الاسلوب الخاص المميز » والاسلوب قمة الشخصية • هذا الاسلوب

المصرى يدرس فى جامعات الغرب المتحضر اليوم .

تراث مصر زراعة كانت صناعة عصرها وكشفه الجديد . فمنذ بداية العصر الحجرى كان اهالى مرمدة بنى سلامة والفيوم أول زراع فى التاريخ .

وتعلمت مصر من الزراعة الرسم والتلوين .

وتعلمت مصر من الزراعة الحرية لان الزراعة معناها الفائض الذى يحرر الانسان من معدته ليتفرغ لاعمال أخرى .

وتحررت مصر من الخوف والحاجه واكتسبت الرخاء النفسى .

وعلمت الزراعة ، مصر ، الفضيلة فبدون الوفرة يتهدد الجوع الاخلاق .

واعطتها الوفرة نعيم الاحساس وطمأنينة الرضا فشكرت .

واعطتها الوقت فتأملت واهتدت الى المنعم خطوة خطوة . ووصل بها النضج الى التجريد فتصورت الاله فى روعة فائقة حتى قبل اخناتون مما سجلته اللوحة المأثورة عن عصر امنحتب الثالث والموجودة الآن فى متحف لندن .

وعلمت الزراعة مصر ، صناعات شتى . ومتحف العلوم فى لندن يشير الى أن جميع الصناعات تبدأ بقدماء المصريين : النسيج ــ الفخار ــ الزجاج ــ الورق (البردى) الذى اشتق من اسمه اسم الورق فى اللغات الاوربية .

ويشهد بسبق مصر « كابارت » و « توينبى » و « ديورانت » وغيرهم .

لقد الف الفريد لوكاس كتابا عن « المواد والصناعات

عند قدماء المصريين » ترجم فى أكثر من ٨٠٠ صفحة كبيرة .

قد يتكثر اليهود بأسماء لامعـــة مثل « اينشتين » و « فرويد » .. الخ ولكن هذه الاسماء تحمل جنسيات موطنها الاصلى وفخرها يحسب له اولا بينما الحضارة المصرية لا تعرف انتماء لغير مصر .

وقد عاشت مصر على التاريخ أمة بينما تشتت اليهود فى الامم حتى القرن العشرين . والحضارة تساوى : الانسان + المكن + المقومات الخاصة + الحضور الطويل المتميز والواضح الاثر .

وحين تفرق اليهود فى الامم تقوقعوا فى « الجيتو » وكانوا يؤثرون من الاعمال ما يتصل بالتجـارة والربح والبورصة ، فلم تعرفهم الزراعة والصناعة والانتـاج والاضافة ، انهم مقيمون على أهبة الرحيل . وهنـا يطبقون نظرية « ما خف حمله وغلا ثمنه » .. بينما مصر انجازاتهـا معـابد وسساجد مستقرة فى الارض استقرار الآمن السـعيد . وبعض هذا حلم المصريين القدماء بالخلود وعملهم الموصول من أجله ان جنة المصريين مصر خالدة . لقد نقلوا صور العيش فى واديهم على جدران معابدهم وقالوا بالبعث والحياة الاخرى والجنة والنار والثواب والعقاب والميزان والحساب قبل الاديان . ومن شرف هذا المكان ان جاءت الاديان السماوية فعززت ما وصل اليه بالفطرة السليمة وبالدفع الحضارى معا .

واليهود فى « التيه » لم تتصل لهم حضارة بينما تميزت حضارة مصر « باستمرارية » . قد يتغير الطراز ولكن الروح واحدة . ان أساتذة العمـارة الغربيين يعتبرون

مسجد السلطان حسن هرما اســـلاميا . وتستطيع أن تتبين وحدة الروح فى شموخ البناء وأســلوب المدخل الضيق الذى ينفتح على النور فى صحن المســجد كبهو الاعمدة فى المعبد . يضاف الى هذا مقابلة الميضة فى المسجد ببحيرة الاغتسال فى المعبد ، والمحراب لقــدس الاقداس ، أن القبة الاسلامية هرم ترفق الفنان المصرى المسلم فى بنائه من سماحة الدين الجديد فاســـتدار الخط فى يده بعد صلابة وثبات .

« الاستمرارية » فى حضارة مصر تترجمها الصلة بين المسلة والمئذنة وبرج القاهرة . ان كتاب تراث اسرائيل لا يخرج بهذا التراث عن التأثير الادبى والفكرى كتأثير اليهود فى المسيحية والاسلام وأوروبا ولكنه لم يذكر لهــذا التراث دورا محددا فى علم أو فن .

وكم عانت المسيحية ثم الاسلام من « الاسرائيليات » بينما دور مصر فى المسيحية ثم الاســلام دور جــامع وحاسم .

ان اليهود يعترفون فى كتاب الفكر اليهودى بانهم كانوا هدفا للاضطهاد من سائر الشعوب فلم ينعموا بالتســامح الدينى الا فى الاندلس فى ظل الحضارة الاســلامية . وهذه شهادة للاسلام ولمصر معا . فان الحضارة الاسلامية قامت بالدرجة الاولى على أكتاف مصر وفارس من دول الحضارة القديمة التى دخلت فى الاسلام . لقد بدات هذه الحضارة صفحتها بترجمة علوم مدرسة الاسكندرية وقام ابلترجمة اليســـاطرة واليعاقبة الذين كانت مصر مرباهم العلمى .

وكم عمرت خزائن بغــداد بنفائس الاســكندرية مما نقلتها عنهم أوربا عن طريق الاندلس أو ابان الحروب

الصليبية مما يشكل ركيزة الحضارة الاوربية الحديثة .

كانت مصر قاعدة الاســـلام الكبرى أمدته بالبيئة الجديدة القوية القــادرة على البناء والانشاء والخلق بسابقتها فى صناعة الحضارة . امدته بالمال ، والرجال ، وشخصية الحضور ، والوقفة الحـاسمة فى السلم والحرب .

وكما مصرت مصر المسيحية فصيرتها فيها دون غيرها « قبطية » حملت مصر رســالة الاسلام فجمعت الحديث ، وفسرت القرآن ، ورتلت الآذان ، وحفظت العربية فى المحنة ، وكتبت قاموسها الاكبر « لسان العرب » من عشرين جزءا ، وهى التى لم تتكلم العربية الا بعد القرن الثالث الهجرى .

ان الذكى ينحو فى تقييم منافسه الى وضــعه فى حجمه الحقيقى بدون تهوين أو تهويل . والحجم الحقيقى لاسرائيل على الرغم من سبقها اليوم فى حضارة الاله ، لا يقارن بحجم مصر مكانا أو مكانة لا يقارن بالقاهرة أو الاسكندرية منفردتين .

لا تقارن اسرائيل بمصر ، القــادرة اذا تخففت من المعوقات المادية والنفسية ، على الانطــلاق والخلق التفوق . مسار تاريخها يشهد بهذا . وآخر تحدياتها قوف جيشها فى عصر محمد على على ابواب الآستانة تتى أزعج الطرق ، أوربا فتكاثرت عليه فى موقعـــة نافارين حماية لنفسها قبل السلطان .

فعلت مصر هذا كله ، قديمــا وحديثا ، بطاقاتهــا خاصة بينما اسرائيل لا تقف على قدميها بل ترتكز الى ريكا كى لا تسقط وترتكس على الغرب حتى لا تموت .

ان مصر قادرة على التحدى .. قدرة يحسب لها الف حساب حتى في محنتها . لم تعرف مصر حائط المبكى بل كانت تواجه المحنة بأسلوبها الحضارى . تترك للقانون معاقبة الجاني ، وتترك للزمن من ينجو من العقاب فيتآكل حين تستدير هي تعيد البناء .. بناء المدن بالعلم ، وبناء الانسان بالدين . لان البناء والانشاء والعلم والدين والفن قيمها الرفيعة التى عاشت عليها منذ القدم .

يجب أن يلقن هذا الانسان المصرى والشباب المصرى حتى يعرف نفسه .

نشر المصرى الدكتور رشاد منير شكرى فى كندا مقالا بالفرنسية بعنوان « يجب احياء الفكر الفلسفى فى مصر القديمة .

فى مجال الرد على حملة ضارية يشنها اليهود فى أمريكا وكندا تستهدف انتحال كل انجاز حضارى لشعوب الحضارات القديمة وخاصة مصر فى عملية تأثير مرسوم ، على الرأى العام هناك ...

وهنا يصبح توضيح الحقيقة وابرازها ، فرضا ..

أن دراسة علم الاديان المقارن ، خير مقارنة بين مصر واليهود فى : الانسان ، والمكان ، والزمان أى عمر الحضارة التى يعتد ويعتز بها كلاهما على تفاوت فى القدر والمقدار .

التراث اليهودى الذى يدل به اليهود على أوربا وامريكا عمره الف سنة ممتدة ما بين ١٢٠٠ ق . م ٢٠٠ ق . م . وهذا التراث يتمثل فى العهد القديم وهو

يضم الوصايا العشر والامثـال ومزامير داود والقصص ونشيد الانشاد وغير هذا .

والمعروف من تراث مصر ، ثلاثون الف سنة كما أشرت وقد تكشف الكشوف فى المستقبل عن ابعاد أخرى لتراث مصر .

على ان تراث اليهـود الحديث نسبيا ، أى الالف عام ، يستمد من مصر كثيرا ، ويقتبس من مصر كثيرا .. وموسى ولد وعاش وتعلم فى مصر . ويعده كثر من علمائهم ، مصريا وفى مقدمتهم « فرويد » .

اما ما أخذه اليهود من مصر فقد سجله لنا ، « ارمان » الذى قدم فى ١٢ يونية ١٩٢٤ الى المجمع العلمى البروسى بحثه الكبير « مصدر مصرى لأمثال سليمان » كما نشر السـير وليزبدج ، قبله ، سنة ١٩٢٣ « تعـاليم أمين ـ ام ـ أوبه » الحكيم المصرى الذى عاش قبل الميلاد بألف سنة أى وقت كتابه العهد القديم . هذا عطاء « الانسان » فى مصر .

***

أما المكان فقد كان منشأ اليهود فى الصحراء فهم أهـل بداوة وغارة حتى معبودهم القديم « يهوه » كان كما يقول الدكتور فؤاد حسنين فى كتابه « التوراة » ، متطبعا بطباع الصحراء وسكانها الـذين يعيش كثير منهم على السلب والنهب والسطو على الاقاليم المجـاورة . كانوا يقرنون به الظواهر الطبيعية من رعد وبرق ومطر وزلازل وبراكين كما وصفوه بأبغض الصفات مثل قولهم « يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة يهوه هبت عليه » و « اذا

اكتسح طاعون البلاد فما ذلك الطاعون الا « يهوه » سائرا في الارض شاهرا سيفه قاتلا كل من يجده » .. مؤذ .

فصورة « يهوه » اله اليهود الصحراوى صورة بغيضة مخيفة مرعبة .. حتى طقوسهم له ، يصفها الدكتور فؤاد حسنين ، بأنها كانت « حقيرة مزرية لا تتفق واخلاق امة راقية » . وقد قدم الدليل مقززا منفرا .

كان هذا وضع اليهود ، فى بداوتهم ، سنة ١٤٠٠ ق . م . وحين كانوا يهيمون في الصحراء أو يسطون على الحضر ، كانت الحضارة المصرية في أوج ازدهارها .

كانت مصر فى هذا التاريخ قد فرغت ، من زمان ، من بناء الشوامخ الثلاثة أهرام الجيزة وما يتصل بها من علوم الهندسة والرياضيات والفلك والجيولوجيا والادارة .. وفنون الكتابة والنقش والرسم والتلوين .. وعقيدة الخلود والبعث والثواب والعقاب والجنة والنار ...

كانت مصر قد كتبت متون الاهرام ، ووصلت الى التوحيد وعرفت الله الواحد الاحد ، وكتبت المسرحية والقصة ونظمت الشعر ، وعزفت الموسيقى ، وغنت وترنمت وغزلت ونسجت وشكلت الاناء فيه الحس الصافى للشكل ، بل شكلت الزمن نفسه يوم قسمته شهورا وأياما واهدت الى الدنيا التقويم الشمسى سنة ٤٢٤١ ق . م .

كانت مصر قد عرفت « الضمير » ومعانى الخير والعدل ، وفاقت مقاييسها الخلقية ، الوصايا العشر قبل أن تكتب الوصايا العشر بألف ومائتى سنة .

كانت مصر قد ارتفعت من الرحمة الى اوج يقول فيه

المصرى عند الحساب :

أنا لم أختطف اللبن من فم الرضيع
أنا لم أتسبب فى بكاء أحد .
أنا لم اطفىء شعلة فى وقت الحاجة اليها !!
أنا لم أعترض على ارادة الله

***

اما المكان فقد عبر اليهود الصحراء ثم نهر الاردن ونزلوا فلسطين وهى وطن الكنعانيين اهلها الاصليين . وهنا ارسل حاكمها من قبل فرعون حاكم مصر رسالة يشكو اليه نزوح قبائل تسلب وتنهب تدعى « ابيرو » أو « عبيرو »[1] وهذه الرسالة كشفت عنها التنقيب فى تل العمارنة .

حتى لغتهم لم تكن العبرية ، لانهم لم يكونوا امة ذات لغة . انهم الى اليوم خليط من الشعوب والامم والاجناس، كانت لغتهم لهجة من الآرامية أقرب ما تكون الى العربية . اما العبرية المعروفة لنا فقد كانت لغة الكنعانيين اى الفلسطينيين الاصليين .. وعنهم اخذها اليهود اى القبائل المهاجرة من الصحراء عبر الاردن ، بعد ان استقرت فى فلسطين .. ثم انتحلوها كفيرها لو جاز أن تنتحل البلاد أيضا ، وكل شىء جائز عندهم ،على أن كلمة « عبريين » تعنى البدو أو اللصوص المرتزقة كما وصفهم أعداؤهم فى كنعان ، اشارة الى طبيعتهم كرعاة متخلفين حضاريا بالنسبة لهم . كما يقول كتاب « اليهود » للدكتور جمال حمدان .

---

(١) المعنى اللغوى لكلمة عبريين المرتزقة أو اللصوص وقد اطلق عليهم هذا اللفظ حاكم فلسطين المصرى .

هذا حين كانت مصر كما وصفها القرآن وهو فوق الهوى والقومية ، وصف القرآن مصرَ بأنها :

« ربوة ذات قرار ومعين » .

وانها « جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة » .

وأنها « ملك وأنهار تجرى » .

وانها « أمنية المتمنى وفيها سؤل السائلين » .

***

هل عرفت نفسك ايها الانسان المصرى . أيها الشباب المصرى .

انا لا أقول لك أيها الاصيل « أعرف عدوك » بعد أن تداخلت المعانى والصفات .. **واختلطت علينا العــداوات** والصداقات .. ولكنى أقول لك اعرف نفسك .. اعرف مصرك لترفع رأسا ما انحنى الا خشية لله لا خــوفا من سواه . ولا أحاج هنا بالمنافقين فهؤلاء فى رايى كفــار بالمعنى الدينى والمعنى القومى فى وقت واحد .. فالذى يؤمن بالله ، لا يشرك به احدا والذى يحب مصر ينتمى اليها وحدها .. **عز ، بها الانتماء ، وحق لها ، الفداء .**

ويدعى « بيجن » بعد هذا بناء الاهرام !! مع أنهم بالدليل العلمى لم يكن لهم وجـــود تاريخى وقت بناء الاهرام ، لان اليهود وانبياءهم وكتبهم .. كل هذا واكب اواخر الدولة الوسطى الفرعونية وأوائل الدولة الحديثة خاصة ما بين ١٨٠٠ ـ ١٢٠٠ ق . م .

من اجل هذا كله استحكمت عقدة اليهود من مصر فحاولوا الترويج للحضارة الاغريقيـــة فى عملية سرقة الكاميرا من حضارة مصر حتى لا تنشر تفاصيلها وعطاياها وينشر معها الاصول التى أخذوا منها أو الينابيع المتدفقة

التى شهدت الواردين من كل جنس ودين .

واليهود كما يتضح من تاريخهم الذى أوردته ، سلسلة من التيه والشتات فاذا استقروا فى بلد ، دل « الجيتو » عليهم فأحاطتهم الريب والشكوك يؤكدونها بأفعالهم فيحيق بهم ويحق عليهم العذاب .

ويرتفع حائط المبكى للاسقاط .. وعندما يرقأ الدمع، يشيعون فى نفوس الامم عقدة الذنب ليتقاضوا الثمن فى صورة ما .

لم يكن اليهود ، امة ، قط حتى النصف الاول من القرن العشرين . وبالتالى لم يعطوا حضارة كحضارات مصر والصين والهند قديما أو الحضارة الاسلامية فى القرون الوسطى . ولهذا يغالون كثيرا فى قيمة العهد القديم بعد أن حرفوه بالتبديل والتغيير .

على أن « اينشتين » الذى ولد من ابوين يهوديين شديدى العقيدة فى الدين كما قال عنهما ، نبذ الدين وهو فى صباه (لانه اقتنع من قراءاته فى الكتب العلمية الشائعة بأن قصص العهد القديم ليست صادقة) (١) .

ومع هذا « يقول داجوبرت ريونز » فى رسائله (٢) « هناك أمر واحد فقط هو الذى يقاوم البلى وأعنى به الكتاب .. تقول الاسطورة : ان الكتاب الاول هو التوراة . وهو الشهادة الوحيدة التى أسلمها الله للانسان » .

---

(١) اقرأ كتاب (آراء فلسفية فى ازمة العصر) تاليف ادرين كوخ — ترجمة محمود محمود .

(٢) كتاب « رسائل الى ولدى » تاليف داجوبرت ريونز — ترجمة د. نعمات أحمد فؤاد .

انهم لا يعترفون بأى دين ولا بأى شىء حين يشترط الاسلام الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وقد آمنت مصر بالمسيحية .

واعتنقت مصر الاسلام .

ووقفت وراءهما فى السلم والحرب .

كما لم يفعل أحد لان حضارتها دينية قبل الاديان .

وستظل مصر حمى للاديان والقيم .

والانسان الى آخر الزمان .

ومن شرفنا أننا انسانيون .

واننا مؤمنون .

واننا مصريون .

وأن يعرف هذا الشباب المصرى .

هل للمشـــكلة حلّ ؟

والآن بعد طرح المشكلة مشكلة الانسان المصرى بعامة والشباب المصرى بخاصة فى عملية مواجهــة حقيقية ومباشرة تستقصى الجذور غاية ما يستطيع الصدق فى القلب المصرى على ان الكلمة الاخيرة لم تقل بعد وهذا شأنها فى أى اجتهاد انسانى أى ان المشكلة التى فجرها هذا البحث تقبل المزيد بل أتمنى على الله أن يأخذ كل مختص بعدا من الابعاد ويمتد به عمقا وطولا حتى تتجمع لدينا خبرات شتى قد تعين على الحل الجامع أو حتى ترسم طريقه . ليست مشكلة سهلة انهـــا مستفحلة متشعبة ومزمنة أيضا .

أما من ناحيتى وقد كتبت ما كتبت عن معايشـــة لهــا واحساس بهـــا مؤرق شاغل ، فانى أطرح الحل فى خطوط :

اطلاق حرية الصحافة :

لتحقيق حرية التعبير وحرية الآراء وكشف الفساد فى حينه ومحاسبة الجانى كائنا من كان ، وأيا كان ، ومهما كان .

تغيير نظام التعليم تغييرا جذريا :

يعتمد على التفكير والتجربة والاختيار والاستعداد الطبيعي حتي يستطيع كل انسان أن يعطى عطاءه كاملا فكل ميسر لما خلق له . أما التلقين التعميمى فانه تبديد للوقت والمال وللانسان أيضا حيث يجرح غير المستعد للأسلوب النظرى السائد الآن ويضيع مال الدولة الذى الطبيعية ...

تنفقه عليه فى غير مكانه وقد يبيغ فى الدراسة العملية او الفنية لو اكتشفت قدراته ووضعت فى بيئتهـــا

هكذا ، ويضـــيع فيما يضــيع ، وقت الطالب ذوى الاستعداد : اذ عليه أن ينتظر الآخرين ويخضع لتفاوت المستوى .

ايجاد عمل حقيقى لكل انسان باستغلال الطـــاقات الكامنة للبلد وفيها الكثير البكر .

تعمير سينا بتوفير حاجات الانسان فيها أولا حتى يطمئن الى النزوح اليها .

ترشيد الفراغ : بملئه هوايات وقـدرات ورحـلات داخلية وخارجية وأعمال فنية ورياضات ومتع محببة تبنى الجسم والعقل معا كما أشرت .

ترشيد معنى التدريس ومعنى الوطن ومعنى الوطنية .

ترشيد دور الحاكم والمحكوم .

علمية القرار وجماعة القرار فلا ينفرد به شخص كائنا من كان فالرسول خير الخلق جميعا امر بالشورى فى اكثر من موضع .

احترام التخصص . ليس وقتا للفهلوة والاحتكارات العائلية .

المساواة الشاملة بسيادة القانون حقيقة لا شعارا .

الغاء القوانين الاستثنائية وفى مقدمتها قانون الطوارئ

قانون العيب أى محاسبة ذات تريد عنوة أن تكون فوق المساءلة والحساب لترتع .

اصلاح الريف . واحترام آدميته وتحقيق ولو الجزء الادنى منها .

رفع كفاءته للحد من النزوح الى المدينة .

والا انهارت المدينة كالريف بدلا من أن يرتفع الريف كالمدينة .

اى تحضير الريف بدلا من تريف المدينة .

بدلا من :

الفهلوة وانتفاء العلمية .

الاخذ بالاعتبارات الآتية :

الناحية التكنولوجية .

الناحية البشرية .

بنك المعلومات .

وكلها جوانب فى تشخيص المشكلة .

العلاج لا يملكه راى واحد أو فرد واحد .

ولكن يبقى بعد هذا أو قبل هذا .

تصفية حساب الماضى حتى يطمئن الناس الى القصاص .

انه لا شيء يجدى ان لم يحدث تغيير جلرى .
حتى لا نرمم جدارا متصدعا . .
او يلتئم الجرح على نغل .
بمعنى آخر ان تصفى أولا « الحالة » اركز على هـذا تركيزا شديدا ولا اكف .
يحاكم كل مستغل أو فاسد مهما كان موقعه ليستعيد الناس ايمانهم بالقانون .
بالعدل .
بالنظام .
حتى لا يتكرر الاستغلال والفساد .
حتى يمكن محاسبة الصغير دون احساس بالقهر لان محاسبة الكبير تخلق جوا من الاقتناع وحقيقة الردع .
احترام الانسان .
المواءمة من ناحية بين علمه وكفاءته ، وبين نوع العمل الذى يسند اليه . من ناحية اخرى بعد العمل ، رفع كفاءته فيه بالتدريب العملى .
توفير الاطمئنان له بتأمينه ضد الحوادث وتأمينه قبلا ضد الاجهـاد الذى كثيرا ما يكون سـببا غير منظـور للحوادث .
والاجهاد الذى أعنيه العضوى والنفسى والمعنوى .
احترام الانسان حتى المعوق ان التعويض الحقيقى ان يشعر أنه لم يفقد دوره فى المجتمع .
وقد يقول قائل : معوقين فى حديث عن الشباب اقول نعم فان الحروب الثلاثة انما خاضها الشباب وبالتالى

وبلاتها وقعت على الشباب الذى هو دائما وقود الحروب فى أى بلد لا مصر وحدها .

لقد تكلمت عن تغيير نظام التعليم تغيرا جذريا والآن اتكلم عن :

تطوير التعليم بحيث يشمل فى جميع المراحل وفى جميع التخصصات قـــدرا مشتركا من التعريف بالبلد وجوهر شخصيته في عملية تأصيل للانسان فى أى موقع وعملية التقـــاء نفسي يربط المصرى بالمصرى يجعل من التعاون والتجاوب بينهما حرمة ترعى واحساس ضمير بل أن نظرتي فى هذه الاشارة تمتد الى علاقة الانســـان بالاشياء هذه العلاقة حين تكون حميمة فانها ترتفع على التحطيم والتخريب والتبديد وهنا ننجو من الهـــدر والفاقد والخردة التى تلحق عندنا ، التجـديد بسرعة مذهلة .

تنويع الثقـــافة وتخطى مرحلة « علمى وأدبى » أو ما يسمونه الثقافتين وقد تخطت أوربا هذه المرحلة التى يجب أن نتجاوزها بدورنا حتى لا نشغل بغير موضوع وحتى تكمل شخصينا بالعلم والفن معـــا لينعكس على أسلوب التصرف والسلوك بعد أن يكون قد انعكس قبلا على أسلوب التفكير .

اعرف ان المرأة عنـدنا تعمل وتشارك وتتعلم طبعا وتشغل مكانا فى المدرسة والمعهد والجـــامعة والمصنع والمتجر فوق مكانها الفـريد فى البيت اعرف هذا كله ولكنى أريد أن ينظر الى المرأة نظرة أكثر اهمية واحتراما وأريد من المرأة نفسها ان تنظر الى نفسها نظـرة اكثر

اهمية واحتراما بتوسيع وتعميق دورها على الساحتين العامة والخاصة فهى فى البيت ليست مجرد أنثى تحمل وتلد بل هى الاستاذ الاول الذى يصنع الانسان من خلال أبنائها وما تشربه نفوسهم من قيم ومفاهيم وهى التى تصنع اقتصادنا قبل أصحاب النظريات والتنظير لانها موجهة الاستهلاك والموجه ان لم يكن فاهما عالما رشيدا هدم كل شيء .

المفروض أن أطمح الى أن تكون المرأة عارفة بأصح ألوان الطعام وأكرمها للأسرة فى وعى متطور .. لقد جعلت انجلترا فى محنتها أثناء الحرب العالمية الثانية وزيرا للطعام .. ان المطبخ المصرى آفة من آفات الشخصية المصرية .. وهذا المطبخ نفسه يستطيع أن يكون أداة من أدوات الحل .

يجب أن تكف المرأة عن طلب المساواة وأن ترتفع فوقه فطلب المساواة اعتراف « بالدونيه » ولكن تحقيق الذات وحجم الانجاز هو الذى يرفع صاحبه ويكسبه الاحترام والمكان بل الترجيح والتفضيل .

يجب أن تكف المرأة نفسها عن تفضيل ابنها الولد على أخته البنت فلا تطلب من ابنتها خدمة أخيها بالشكل الذى يوحى بالتبعية ولا تطلب منها الامتثال الأوامره بل تطلب منهما معا التواد والتعاطف والتعاون والحنان المتبادل والصداقة أى المشاعر الحقيقية التى تجعل لشهادة الميلاد مدلولا ومضمونا وكيفا .

يجب أن تكف المرأة عن حصر لعب البنت فى «العروسة» صغيرة والدعاء لهـا « بالعدل » صبية كأن الزواج

والاولاد « سأمورية » مطلوبة منها . ان الزواج والاولاد مطلبان فى الحياة السوية ولـــكن الى جانب حاجات وحاجات للروح .. الى جانب متطلبات ومتطلبات للعقل .. الى جانب أساسيات أخرى للجسم نفسه .

يجب ألا تستغل خارج البيت أو تستنفذ داخله بل تعاون مع الرجل فى المجالين بنصيب محسوب وهنـا أعود الى المطالبة بتغيير جذرى فى النظرة اليهـــا .، بالتعاون الراقى معها فى المجالين لتشيع الانسانيات فى الحياة ليحيا الانســـان لا ليعيش فقط وكم بين من يعيش ومن يحيا .

وتفصيل هذا احترام وجودها وحقوقها فى العمـل وتقاسم الاعباء معها فى البيت ما دامت خرجت للعمل والخروج للعمل ليس تكاه أو حجة تتذرعها ولكنه ضرورة ملحـــة فى عصر ارتفعت تكاليف الحياة وتعقـــدت وسائلها .

وبعض التخفيف عنها الى جانب المشاركة العملية ، تخديم الآلة لاراحتها وتوفير جهـدها ووقتها وان كان تشغيل الآلة نفسه عبء غير قليل خاصة اذا كانت الآلة مما يحرص الانسان على استعماله بحساب دقيق حين يكون الاستعمال السيىء يربك الآلة وأصحابها .

من رعاية المرأة تعميم نظام حضانة العمل حتى لا يبدد انشغالها على أبنـــائها ، تركيزها فى العمـــل وتواجدها فيه . وتكون هذه الحضانات ، على تكاملهـــا رمزية التكلفة .

ومن رعاية المرأة توفير وقتها فيكون انتقالها الى العمل على حساب العمل أو تحقيق رغبتها فى مكانه .

جزء من الحل حصر المشروعات التى بدىء فيهـــا ولم تتم مما يخرب الوجدان المصرى والوصول به الى عدم الايمان بعمل أو نتيجة أو بشىء على الاطلاق جزء من الحل حصر القوانين وتصفيتها حتى يستوعبها الناس أو نخرج بهم من تيه الغدة القانونية التى أصبنا بها .

جزء من الحل الـــكف عن التصريحات والدعائيـات والوعود والمظهريات لان آثارها عكسية وأحيـانا مدمرة حين تهز الثقة وتقطع الجسور بين الحاكم والمحكوم .

جزء من الحل اشراك المعنيين ، فيه اشتراك الناس فيه فهم أولا وأخيرا المقصودون به . وان لم يشعروا انه نابع منهم بلا استعلاء أو املاء فلن ينفذوه .. ولو نفذوه لن يحرصوا على اجادة الاداء التى تأتى من الحب .. من الاقتناع .

ردوا غربة الانسان المصرى انه مغترب على أرضـه اغترابا نفسيا وحضاريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا.

انه صاحب المشكلة ويجب أن يكون صاحب الحل أى أن يكون له « حضور » مشهود .

جزء من الحل « السرعة » فيه فلم يعد لدينا وقت لكى نضيعه لقد حلت أوربا مشكلاتها فى العصور الوسطى أى ابان تخلفها على مهل حيث لا استعمار يهددها ولا قوى تفتح أفواهها لاحتوائها ولا عجلات رهيبة تشـــدها اليها وتتبعها لمسيرتها ...

بل على العكس واكب النهوض فيهـــــا تطلعها الى الاستعمار فما ان وقعت عينهـــا على خيرات الشرق لسبب التجارة او الحروب الصليبية حتى انكبت عليهـا تجمع فى سعار محموم ما تستطيع فأعطى هذا بعدا غنيـا

لنهضتها أعانتها ودعمتها وصقلتها حتى صار لها بريق يخطف الابصار خاصة فى القرن التاسع عشر .. أيضا فى عين الشرقيين أنفسهم .

جزء من الحل المسح الشامل لمشاكلنا .

مع التنسيق بينها فى التشخيص والعلاج حتى لا نعالج عضوا على حساب عضو فى الجسم الواحد جزء من الحل ، استهداف المدى البعيد فيه فلا تضيق النظرة بالاقتصار علىّ ما تحت أقدامنا لنواجه المشكلة بعد قليل كأننا محلك سر بل تعالج المشكلة فى اطار شامل من حيث المكان والزمان فلا نبنى لنهدم بحجة الاستكمال أو الاستدراك كما يحدث فى العمارة وفى الطرق وفى نواح شتى .

جزء من الحل احترام التخصص لا المقاولات فيشتغل بالغذاء ، بناء ، ويشتغل بالوفاء تاجر ويشتغل بالعلم أدعياء . الخ .

جزء من الحل المواجهة الحقيقية للمشكلة فلا نعزو كل صغيرة وكبيرة الى الخارج وندرجها فى عداد المستورد ليست مشاكلنا فى شارع الشواربى .

ان مشاكلنا فى صميم القرية والمدينة بل الكنيسة والمسجد بما عليها من مسئولية ترجى .

جزء من الحل بل معظمه احترام حريتنا فليست المشروعات أو المشاكل محاسيب فيحرم نقدها لان هذا المشروع أو ذاك ، طرح فلان او امتياز لعلان فاننا لم نخلص من الامتيازات الاجنبية لنرسف فى اغلال الامتيازات العائلية أو المحلية .

الحل انتقال جذرى فى أسلوب الحل اى اسلوب

التفكير . نحن لا نستطيع أن نمضى طويلا فى حالة التهويم والتهويل والتهوين والغضب المفاجىء والنقد الجامح أو المدح المنسجم ثم تظل المشكلة كما هى نريد أن يتم اذا أردنا التغيير الى أفضل أن نتناول المشكلة بتفكير علمى موضوعى يبدأ بتحديدها فى تجريد وتحييد ثم تحليلها ثم علاجها على أساس من المعلومات الدقيقة وعلى المدى الطويل لا المسكنات وعلى أساس ثابت لا متغير بتغير الاشخاص أو النظم .

جزء من الحل حساب كافة التوقعات حتى لا يكون مكانا للتعلات او المعاذير الفجائية .

جزء من الحل احتياط البدائل حتى لا يتعثر التنفيذ فى منتصف الطريق ويعلق الى أن تشكل لجان تنعقد وتنفض بلا نتيجة هذا اذا شكلت ...

ولكن وجود البديل يتفادى الارتباك ويؤمن المسار .

جزء من الحل الالتزام بوقت محدد للانجاز تتحدد معه المسئولية بما ينبعها من حساب .

جزء من الحل تحديد نوعية الاداء وكفاءته فلا يسطح الاداء أو يعمم أو يعوم أو يجتزأ فيه بالدونية أى بأدنى ما يمكن من مجهود « تسديد خانة » و « التفويت » الخ هذه العبارات المتخاذلة ويهبط تبعا لها ، كل شىء له قيمة حقيقية .

ويتصل بهذا :

نظام دائم دائب للاشراف والمتابعة والتسجيل والتقييم والتقويم حتى يمكن التصحيح فى الوقيت المناسب له أمانا من التراكمات .

بعباره أخرى : بلدنا بحتاج الى اعاده صياغة انهـا ارادة التغيير .

اعادة صياغة بعض مواد الدستور وفقا لمصالح الامه ، وحقها في السيادة ممثلا في وجـوب أحزاب حقيقية ومعارضة حقيقية . واستقلال حقيقى للقضاء . وحرية حقيقية للصحافة . أى حذف ما أقحم عليها ارضاء لأهواء فردية .

اعادة صياغة الجامعة فلا تفرض عليها اعداد أو مناهج ولا تبتلى بتلويث النفوس الشابة وغسيل العقول . قال لى أستاذ جامعى كبير ان ضعف المستوى الجامعى ليس سببه الوحيد كثرة العدد وتخلف الوسـائل وضعف الاستاذ ، ولـكنه بالدرجة الاولى اهـدار القيم . كان الاستاذ يعطى عطاءه كاملا لطلاب يقدرون له هذا العطاء . . والعطاء محبة . . هل يستطيع الاستاذ أن يحب طلابه ، وبينهم ، وليس كلهم ، الخرابات النفسية والاخلاقية أى كتاب التقارير ؟ وكيف السبيل الى تمييز الخبيث من الطيب :

غامت الرؤية وغابت الفروق .

اعادة صياغة المدرسة ومناهجها المسطحة والعقيمة . كانت مصر القديمة تسمى المدرسة « بيت الحيـاة » فى عملية ربط بين الواقع المعاش والنظرى المسطور .

هل مدرستنا الحاضرة وثيقة الصلة بالحياة خارجها ؟ أم أن جدرانها الاربعة فيها الكفاية بما وراءها من أسلوب تلقين لا تفكير ، وتركيز على « الانتباه » لا التأمل ؟

هل يخرج الطالب من المدرسة او يتخرج فى الجامعة يعرف شيئا ولا اقول ، كل شىء عن بلده وقومه وماضيه

وحاضره ومستقبله والدنيا المحيطة به ؟ هل تستهدف المناهج وصله بالحياة والتراث وطرائق التفكير ؟

اعادة صياغة المفاهيم فيحترم الاختصاص من أى نوع ودرجة فانه لا يوجد الانسان الواحد الذى يفهم فى وقت واحد الاقتصاد والزراعة والصناعة والسياحة والسياسة والفن .

اعادة صياغة اللغة اليومية ذاتها فالادب غير النفاق ، والمجاملة غير الكذب البغيض ، والرؤية الفـــردية غير الرعاية والتوجيه والعلم الراسخ .

الله وحده هو العليم .

أما العلماء ممن خلق فقد أوتوا من العلم قليلا .

اعادة صياغة دور الكنيسة والمسجد . فان الاديان من الرسوخ بحيث لم تعد بحاجة الى وعاظ ولـكن الى نماذج عالية فى فهم الدين .. ان الانسان من الدين يقف أمام نور يضىء روحه ونفسه ويكيف قيمه ومفـــاهيمه ويوجه سلوكه الى الاعماق الزاخرة بالحقيقة فى عزها الباذخ فينفذ الى جوهر الآيات فيؤمن عن صدق وتصديق .. وعندئذ لا يتطامن ولا يداجى ولا يتقاما بعد ان عرف أن « العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » .

تعساء أولئك الذين لا ينفذون الى المعانى الحقيقية للدين وان صلوا وصاموا .

اعادة صياغة الاعلام المشغول بالمسلسلات والتسالى والشرائط الخضراء والاغانى البلهاء ليكون اعلام الانسان المصرى :

ترابه ـ أقاليمه ـ صناعاته ـ انجازاته ـ حاجاته ـ مطالبه ـ ريفه ـ مدنه ـ مدرسته ـ جامعته ـ آلامه ـ

آماله ـ مطامحه ـ مخاوفه ـ حقوقه ـ مستقبله .

اعادة صياغة مفهوم الثقافة لنعرف قيم الدقة والصدق والموضوعية والسببية ، والباقى ، والزائل .

اعادة صياغة القاهرة : لابد من اعادة صياغة مدينتنا وعاصمتنا القاهرة .. فتخضع تصاريح ـ البنـــاء لموافقة نقابة المهندسين وكلية الفنون الجميلة حتى لا تتنــاقض الطرز المعمارية ، وحتى لا تتناقض الحاجة الى كوبرى مع الحاجة الى المتحف .

يجب أن تعود الى القاهرة حديقة الازبكية ولا تمس البقية الباقية من المســاحات الخضراء بالحــــدائق الأخرى .

يجب أن تعود الى القاهرة الاوبرا ..

يجب أن يعود الى القاهرة الهدوء بمنع الميكروفونات ونقل مسار الاتوبيسات الى خط دائرى يحيط بالعاصمة ثم تستقل الاحياء بمواصلاتها الداخلية .. فهى مهمــــا بلغت محدودة وقاصرة على مرافق الحى .

يجب أن يعود الى القاهرة ، التنفس الطبيعى وذلك بالعناية بالريف والاقاليم ورفع الخدمات بالقرى والنجوع والمدن حتى لا يهجرها أهلها الى القــاهرة التى تعــانى الهجرتين :

الهجرة الداخلية اليها من المكدودين المطحونين .

والهجرة الخارجية منها للكفاءات العالية أولئك الذين يضيق طموحهم بالمعوقات النفسية والمادية فيها .

وبدون تحسين الريف لن تحل مشاكل القاهرة . وأحد الوســـائل لا كلها : الميزانية المركزية فتصرف حصـــيلة

ضرائب كل اقليم على شئونه فلا تدفع محافظة الضرائب ، لتتمتع أخرى بها .

ان القاهرة اقل العواصم الكبيرة خضرة . للاعتداء المستمر والعداء النشيط للحدائق والاشجار واستبدال علب الكبريت الصخرية أى العمارات الجديدة بها ، تلك العمارات التى لا يرى أصحابها والمرخصون لهم بالبناء ، الصحراء الواسعة . أن أجمل ضواحى القاهرة كانت قطعة من هذه الصحراء قبل أن تعرف البارون امبان .

اعادة صياغة الاجازات وانصاف الاجازات فتقتصر على الاعياد الدينية حتى تنصرف تكاليفها الباهظة غير المنظورة الى ما يعود بالنفع على النـــاس فى معاشهم وسكناهم ومرافقهم . ومثل الاجازات فى الهدر والهذر ، الاحتفالات التى تزيد المهموم هما وكمدا .

ان البيت أولى من الجامع نفسه عند الحاجة . أليس كذلك ؟

اعادة صياغة القصور الملكية الى ما كانت عليه أو بعض ما كانت عليه لا من أجل الملوك ولكن من أجل مصر أعنى آن تكون متاحف مصرية كما فعلت فرنسا بقصر فرســاى والتويلرى وكما تفعل سائر الدول المتحضرة لقد اندلعت حرب أهلية فى أسبانيا ولكن القصر الملكى فى مدريد لم يمس وهو الآن متحف يدر على أسبانيا الملايين .

ينظر ولا يرى من يظن هذا الشعب غافلا عما جرى ويجرى حوله . . ان صمته طويل ولكن غضبته مروعة . وان صبره ثقيل ولكن هبته مفزعة . . .

تاريخه كله يشهد بهذا ولكن من الذي يريد أن يقرأ التاريخ ؟

بين النظـرية والتطبيق

مشكلة الشباب شخصتها عن احســاس عميق بها لان الشباب أبنائى فى البيت وطلابى فى الجامعة . والامــل المرجى والمدخر لامتهم .

ولم اكتف بالتشخيص بل طرحت حلولا بعضها فصلته تفصيلا . ومن الحلول الجذرية

« تغيير المناهج » وهو يحتاج الى تفصيل مســتفيض لم أشأ أن أبسطه فى موضعه حتى لا يطغى على النقاط الاخرى أو ينقطع به التسلسل والسياق ·· ولكنه جـدير باللبث عنده والوقوف والتغيير الذى أراه ضرورة ماسة يشمل :

- المناهج الدينية ··
- المناهج التاريخية والتربوية او ما يسمى « التربيــة القومية » ·

فى لجنة (المناهج الدينية) بوزارة التربية والتعليم التى تضم صفوة يمثلون الوزارات المختلفة والقطاعات المختلفــة الشديدة الارتباط بالتعليم فى مصر ، طرحت بحـــكم عضويتى ، رؤية موضوعية كانت موضعا لدرس جامع · رأيت فى حفظ القرآن الكريم ، أن نأخذ بمبدأ «الاختيار» لا التتابع · فى الاختيار نبدأ بآيات الطبيعة : الجميـــلة

حرفا ووصفا ·· الجميلة معنى وصورة · مثل (والشمس وضحاها · والقمر اذا تلاها · والنهار اذا جلاها · والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ··)

ومثل (والضحى والليل اذا سجى ··) .

وفي هذه السورة توجيه الى الدماثة أسلوبا للحياة دون وعظ أو ارشاد ·· (فأما اليتيم فلا تقهر · وأما السائل فلا تنهر ·)

آيات الاخلاق :

ومن الدماثة . مراعاة شعور الناس ·

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ·)

ومن الدماثة : غض الصوت عند الحديث .. وعدم الخيلاء عند المشى ·· وعدم التنابز بالالقاب (واقصد فى مشيك واغضض من صوتك) ، (ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ·)

ومن الدماثة . أدب الجدل (وجادلهم بالتى هى أحسن)

ومن الدماثة ، الترفع عن الاساءة بل مقابلة السيئة بالحسنة ·

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ·)

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ·)

اذن الخطأ جهل يصححه العلم والتبصير ‥ وهو أمـل للمخطىء يرده الى الصواب

آيات الرياضة : وما يفسرها مثل :

(والعاديات ضبحا فالموريات قدحا ٠ فالمغيرات صبحا ٠ فأثرن به نقعا) . وما فيها من التنويه بالخيل وركوبها . وهى رياضة وفروسية ٠ ويأتي الحديث فيقول : (الخيل معقود بنواصيها الخير) ٠ ثم قول عمر رضى الله عنه :

(علموا أولادكم السباحة قبل الكتابة فانهم قد يجـدون من يكتب لهم ولكنهم لن يجدوا من يسبح عنهم ٠)

فالقرآن الكريم يضع القاعدة والمثال .. والرسول يهدى به .. ويهدى اليه .

ثم يترك التطبيق ‥ والقياس ٠ انهما من شئون دنيانا التى نحن بها ، أعلم ٠

الاختيار الهادف هو الذى يغرى بالحفظ لا التتـابع ‥ ثم :

الكيف لا الكم ‥

ففى فاتحة الكتاب وحدها من الرحمة .. والكرامة ما يبنى ، الانسان .

بسم الله الرحمن الرحيم ..

له الصفات الحسنى جميعا ولكنه اختار أن يســتهل بالرحمن الرحيم ‥ الرحمة التى تشـمل الحيـوان والكائنات ٠ وقصة القطة التى حبستها صـاحبتها فلا هى

اطعمتها ولا هي أطلقتها فكانت من أهل النار .. هـذه القصة واردة في الادب الاسلامى ..

ومن الرحمة في الاسلام : التعاطف
لقد احتضن الاسلام الفقير والمسكين وعطف الوجدان الانسانى عليهما .

جعل لهما حقا فى الصدقات المفروضة . وجعل لهما حقا في الغنيمة ،

جعل لهما حقا في المال اذا اقتسمه أربابه بمحضر منهما .. جعل لهما كفارة اليمين .

جعل لهما فدية الافطار فى نهار رمضان .. جعل لهما كفارة اعتداء المحرم على الصيد هذا غير الزكاة .

كل هذا فى هدوء ولطف مدخل الى نفوس الاغنيـــاء والفقراء على السواء . وهنا يبطل عمل التيارات العنيفـــة وأثرها .

الاسلام جوهر لا شكل :

انه أكثر الاديان تنويها بكرامة الانسان واحتراما لارادته وحريته في التفكير والعمل . « وهديناه النجدين » ... ويجيء الحديث فيقول الرسول عليه السلام لمن استفتاه مرة بعد مرة : (استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك) .. اعلاء للارادة والضمير . انه دين العزة والكرامة . (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) . حتى كلمة (عبد) فيه (أى فى الدين) ، قمة الحرية .. لان عبد الله ينتفى معها أن يكون عبد لغيره ممن خلق من عبيده الآخرين .

فى العبادات التنويه والتركيز على جوهر الدين :
التقوى الحقيقية عطاء الوجه بشرا
وعطاء اللسان لفظا عذبا

وعطاء الاذن حسن استماع وهو لون من الكـرم .. انه استقبال رأى .. وعطاء اليد فى غير من أو أذى ...
وعطاء الضمير عدلا مع الخصوم (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا .. اعدلوا هو أقرب للتقوى .)
الصلاة فى الاسلام ، صلة بين العبد وربه ..

والوضوء وضاءة نفس قبل أن يكون غســــل الوجه واليدين . رأى عمر رضى الله عنه ، رجلا يطأطىء رأسه فى الصلاة فعلاه بالدرة قائلا : « ارفع رأسك ان التقــوى فى الصدر » ..

سماحة الاسلام وعالميته :

انه الدين الذى انفرد بالاعتراف بالاديان الاخـــرى .
ليس فى الاسلام عصبية أو نعرة جنســـــية . وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، منهم :
بلال الحبشى ـ أبو رافع القبطى ـ وسلمان الفارسى .
ومصر فى الاسلام وفى أقوال الرسول والصحابة ، كنانة الله فى أرضه وهنا مدخل فى الوحدة الوطنية فى لبـــاقة ودماثة تستل التعصب .
المسيحية من بيت لحم بفلسطين ..
والاسلام من الجزيرة العربية .

الدين صلة بين المرء وربه ، لا جنسية .

ليس المسيحيون من اخوة الوطن . بالمسيحية . فلسطينيين .

وليس المسلمون فى مصر ، بالاسلام عربا .

ولكننا جميعا مصريون آمن بعض بالمسيحية .. واعتنق الآخرون ، الاسلام .

وهذه ميزة ومفخرة للاسلام أن يعتنقه أهل البلاد الاخرى، والشعوب صاحبة الحضارة كمصر وفارس دليل عمقه وسموه وآسره وملاءمته روح الانسان .

وهى ميزة للعرب أنفسهم أن يكون الدين الذى نزل على أرضهم ، دينا عالميا والا لو كان المسلمون فى بلاد الارض عربا استوطنوا هذه البلاد ، لأصبح الاسلام دينا محليا خاصا .. وهذا يخالف ما أراده الاسلام .

(ان الدين عند الله الاسلام) وفى الحديث (بعثت الى الناس كافة) .

ولم يخص قوما بعينهم بل مضى أبعد من هذا بقوله : (ليس لعربى فضل على أعجمى الا بالتقوى .) .. فى تفسير للآية الكريمة (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

يكفى أن يربط بيننا وبين العرب :

دين .. ولغة .. وآمال .. وآلام .. وجوار .. والتقاءات تاريخية على مر الزمان .

وحتى لا تنتكس التربية الدينية التى ننشدها فى

المدرسة ، اقترح ، امتدادا لها فى الحيـــــاة ، أى خارج المدرسة ، أن :

يكون المسجد جامعا وجامعة :

وذلك برفع مستوى الوعاظ باختيار المستويات الثقافية العالية . واعظ المسجد يجب أن تكـــون له قدرات الرائد حتى يحبب المسجد الى النفوس والعقـــول ٠٠ من مختلف المستويات ٠٠ والاعمار ٠

ترشيد وسائل الاعلام خاصة السمعية والبصرية خاصة التليفزيون بما له من استهواء وتأثير .

نحن لا نمنع المتعة والترفيه ولكن على أن يتحقق هذا فى غير اسفاف فيعنى العرض بـ :

- ألوان الفنون الجميلة
- الافلام العصرية الغنية المضمون ٠٠
- حضارات الشعوب ترديدا للاية : (فامشـــــوا فى مناكبها) ٠٠
- عجائب المخلوقات فى البر والبحر :

عالم البحار ـ عالم الحيوان ـ عالم النمل ـ عالم النحل ـ عالم الافلاك .

- روائع الغناء لا تفاهات ملحنة ٠٠
- الافلام التاريخية ..

وأخيرا :

الحجاب : ترسيخ المفهوم الواسع الافق للدين فى شأن ،

الحجاب .. أباح الاسلام الوجه والكفين وهنا تتحدد المسئولية فقد يخفى الحجب الكامل سيئات لا تعيش فى النور .

انى أخشى أن يكون وراء التزمت وكثرة التحريم والتحليل والتقييد ، يد خفية تكيد للاسلام ، بالتنفير منه .

ان المرأة ليست جسما مجردا يشغلنا التفكير فيه فنحجبه حجبا كاملا أو جزئيا وفقا لحجم نظرتنا الى « الاثارة » فيه !!

ان المرأة عقل وضمير فقد ناط بها الاسلام مسئولية دينية ودنيوية لا ينهض بها انسان مكبل أو تام الاخفاء .

أعطاها الاسلام حق المبايعة للرسول عليه السلام والمبايعة فرع من فروع استقلال النساء فى المسئولية والرأى والاختيار السياسى .

حدث هذا فى القرن السابع الميلادى ، حين تكافح المرأة فى العصر الحديث للحصول على حق الانتخاب فى الشرق والغرب . وعد حصولها عليه فى البلاد التى أقرته تقدما ورقيا .

منح الاسلام ، المرأة ، من الحقوق ما لم تسلم ، لها به ، أوربا . والى اليوم .

منحها حق الاحتفاظ باسمها بعد الزواج وجعل موافقتها . شرطا فى صحة هذا الزواج . وفى استطاعتها التصرف فى مالها دون ولاية من أبيها أو أخيها أو زوجها.

ومنح الاسلام ، المرأة ، حق المجادلة ، الحسنة بالطبع أى ابداء الرأى والرفض أو القبول (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) .

وفى التاريخ الاسلامى اقترنت الاحكام والروايات بالسيدة عائشة أم المؤمنين ، واقترنت الرعاية والحماية والبذل والتشجيع بالسيدة خديجة رضى الله عنها . واقترن الادب والشعر والنقد بالسيدة سكينة صاحبة المجالس الادبية الذواقة البصيرة ، واقترن العلم بالسيدة نفيسة رضى الله عنها التى كان الامام الشافعي أحد الائمة الاربعة أصحاب المذاهب يفخر بتلقيه العلم عنها .

وقد ذكر الحافظ بن عساكر أن من شيوخه بضع وثمانين امرأة .. كما ذكر الخطيب البغدادى فى الجزء الثالث عشر من تاريخ بغداد ، عددا كبيرا من النساء العالمات وتحدث عن مجالسهن العلمية .

وذكر الحافظ الذهبى فى كتابه (ميزان الاعتدال) (١) « كثيرات من اللواتى درسن الحديث . بل ولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، الشفاء بنت عبدالله المخزومية قضاء الحسبة . وقال الامام أبو حنيفة بجواز توليها القضاء فى غير « الحدود » ..

وقال ابن جرير الطبرى بجواز توليها القضاء عامة .

لقد شاركت المرأة المسلمة فى : الدعوة .. وفى الجهاد

(١) ج ٢ ص ٣٩٥

.. وفى الهجرة .. وفى الابتـــلاء .. وفى الرأى .. وفى العلم .. وفى الرواية .. وفى الاجتهاد .

فهل مثل هذه يحكم عليها بالخفاء أو الاختفاء ؟

ان هذه المسئوليات جميعا لا تتم الا فى بيئة واضـــحة كاملة الاهلية .

يجب أن يربى النشأ على الحقائق والوضوح وأن نعلمــه جوهر الدين لتبصر رؤيته ، ويرشد سلوكه .

ان الدين حرية وعدل وخير وجمال .

. . . .

ويتصل بالدين تعليم اللغة العربية فهى لغة دينية ولغة قومية فى وقت واحد وهى جزء من شخصيتنا وكياننا . هذه اللغة نعلمها بأسلوب عقيم .. لهذا :

لابد من هزة عنيفة للمدرسة المصرية .

حين كان ابنى فى السنة الاولى الثانوية ، استهل المدرس العام الدراسى ..

فى حصة اللغة العربية (الادب والنصوص) بقصـيدة جاهلية للاعشى . . ولا ذنب له فمقرر السنة الاولى الثانوية للصغار الصاعدين من المرحلة الاعدادية ، يبدأ بثلاث عشرة قصيدة من الشعر الجاهلى ! وبعض هذا قــول الاعشى شاعر القصيدة الاولى فى المقرر :

وجند كسرى غداة الحنو صبحهم
منا غطـــاريف ترجو المــوت وانصرفوا

لقـــوا ململمـــــة شـــهباء يقـــــدمها
للموت ، لا عاجز فيهـــــا ولا خرف

لمـــا أمالـــوا الى النشــــــاب أيديهـــم
ملنـــــا ببيض فظـــل الهـــــام يقتطف

ولا تسل عن قصيدة المرقش الاكبر أو المثقب الاكبر او المثقب العبدى أو امرىء القيس التى (تنوء بالكلكل) وتبتلى الصغار بأنواع الهموم (لنبتلى) ..

أيحفظ أولادنا فى سن التفتح هذا الكوم من الشـــــعر الجاهلى مع أن أصحاب هذه البيئة أنفسهم ودعوا هذه الالفاظ وغدوا يقولون (من أجل عينيك عشقت الهوى) .
يحفظ أولادنا فى سن التأثر والانطباع :

له أيطلا ظبى ، وســـاقا نعـــامة
وارخاء سرحان وتقريب نتفـــل

وبعد أن يستحموا فى عرقهم يعــــــرفون النتيجة ومضمونها أن أمرىء القيس يصف حصانه !! ومتى ؟ منــذ خمسة عشر قرنا .. !!

وما دمنا بصدد القديم فلنبدأ بالترتيب . ان مصر لهــا تاريخ وتراث وأدب قبل الثلاثة عشر قرنا بألوف الســـــنين لماذا لا نبدأ فى تعليم الادب المصرى القـــــــديم ثم بالادب الهلينى أى اليونانى الرومانى فى مصر لان مصر كيفتـــــه واشتركت فى وضعه ، ثم الادب القبطى ، ثم الادب العربى المصرى الاسلامى ـ وهنا نلمح عصوره كلها بما فيهاالجاهلى ـ ثم الادب الحديث ؟

ان أوربا تبدأ باللاتينية باعتبارها الام التى تفرعت منها لغاتها ، ثم تأخذ فى تعلم لغتها الحاضرة انجليزية كانت أو فرنسية .. الخ . وهى تحتفل احتفالا خاصا بالادب اليونانى من أجل المسرح . بل ان جامعة القاهرة علمتنا النقد اليونانى والمسرح اليونانى وأعلامه والفلسفة اليونانية ومدارسها . أما ما عند مصر من هذا فلا يعرفه الطالب المصرى لانه أصلا لم يخطر على بال المدرسة أو الجامعة المصرية !!

لا بأس بالشعر الجاهلى فى دوره من الترتيب التاريخى، بل فى دوره من الترتيب الجمالى . فأولى من حصان امرىء القيس ، وأجمل وأشف ... قول الادب المصرى القديم فى مخاطبة الاله :

أنت الينبوع العذب

الذى يروى الظمأ فى الصحراء

مفرح لمن يلوذ بالصمت ...

أو قول اخناتون :

(انت الذى تنفخ فى الفرخ وهو مضغة فى بيضته فتهبه الحياة . أنت الذى تتم خلقته فينقر البيضة وهو فى باطنها . فاذا خرج منها جعل يصىء بقوة تامة وهو يجرى على قدميه ساعة يخرج . انت خلقت الارض خلقتها وحدك لا شريك لك كما شئت وعلى ما اردت ... الارض بما فيها من بشر وانعام وسائمة وكل ما دب فوق ظهرها على قدميه وطار فى جوها بجناحيه ، وجميع الاقطار من الشام وكورش وربوع مصر .. (سبحانك)

احللت كل انسان فى موضعه وقضيت له حاجته كفلت له رزقه وجعلت لكل أجل كتابا . وقد اختلفت السنتهم كما اختلفت صورهم وألوانهم سبحانك جعلتهم أمما مختلفة) .

مثل هذا الرحيق يترك لا يتعلمه الصغار لانه اصلا لم يدريه الكبار حين يقابل (برستد) ما قالته مصر قبل الميلاد بآلاف السنين ، بأقوال مماثلة لشارلس مورجان فى كتابه (الينبوع) سنة ١٩٣٢ وفرجيل وسبنسر ؟!

(مفرح لمن يلوذ بالصمت)

ألا يتعلم الصغار من هذه العبارة البسيطة أن الصمت صوت غنى موح وأن الصمت غير السكوت فقد يسكت الانسان ويسمع الضوضاء داخله لان نفسه منفوشة كالعهن، مشتتة كالحيرة ؟

ومن آداب السلوك :

(لقد أعطيتك لأمك التى حملت بك ، وقد تكبدت فى فى حملك ثقلا عظيما وضعته بغير عون منى .. وظلت ثلاثة أعوام ترضعك . فلما أرسلت الى المدرسة كانت تحمل الخبز والشراب من بيتها لاستاذك كل يوم .. لقد شببت الآن واتخذت لنفسك زوجا وبيتا . فارع طفلك وربه كما ربتك أمك . واحذر أن تفعل شيئا يؤذيها حتى لا ترفع يديها الى الاله فيسمع شكواها) .

أين المدرسة المصرية من هذا كله ؟ انها لا تزال ، كما رأينا ، تبدىء وتعيد فى (قال الشاعر يفخر) ثم رصة أبيات فى العنجهية .. و (قال الشاعر يمدح) ثم رصة أبيات فى التزلف والقماءة والنفاق .

ان الفخـــــر ليس لونا من الادب ، ولكنه لون من قلة الادب ٠

وان المدح ليس الامتنان ولكنه الامتهـــــان والتردى الى الحضيض والحطيط ـ لو جاز هذا التعبير ـ ٠

لقد احترم الله الانسان ، وفضله ، حين حمله المسئولية دون الملائكة ومن هنا يكون المدح والنفاق ، كفـــــرا بالمعنى الاجتماعى ، والدينى ٠

وعرفت مصر الادب التعليمى التهذيبى وهـو أمر طبيعى فى بلد توسل بالحكمة وعرف الكتابةوصنع أوراقها واشتق من نباته البردى اسم الورق فى اللغات الاوربية الى يومنـا هذا ٠ فلفظة Paper من البردى ٠

(اذا كنت فى جماعة جلست فى بيت رجل أكبر منـك فتناول ما يعطيه وضعه بين يديك وانظر الى ما أمامك) ٠

وعن مصر أخذ سفر الامثال هذه الحكمة فقال :

(اذا جلست تأكل مع متسلط فتأمل ما هو أمامك تأملا) سفر الامثال ٢٣ : ١

كما نقل سفر الامثال كثيرا ، عن تعاليم امنموبى مثل :

(لا تستصحب رجلا غضوبا ولا تلحن فى محادثته) .

ومن ورائه سفر الامثال يقول : (لا تستصحب غضوبا ومع رجل ساخط لا تجىء) ٢٢ : ٢٤ .

وفى الادب المصرى القديم أقدم صورة لقصة سـندريلا وقدمها الصغيرة وسائر أحداث القصة المعروفة ٠

وفى الادب المصرى قصص على لسان الطير والحيـــوان تشير الى الضعف الانسانى وعيوب البشر وتأتى فى السياق، الحكمة والمعانى الساميه ·

كتبت مصر هذا قبل كليله ودمنه ومتى ؟ قبل لافونتين ·

أما قصة سنوحى فان الكتاب العالميين يعدونها ذروة من الادب العالمى ، كما يدخلون فى عداد الاداب العالميــة أغانى الحب المصرية بما فيها من وصـف للطبيعة ، طبيعة مصر، وطبيعة النفس الانسانية حتى قيل ان عليها طابع « هين » ·

ترى هل كان الشـاعر الالمانى معجبا بأدب قدماء المصريين، فان وصفه لمرض الحب مطابق تماما لوصف الشاعر المصرى القديم القائل :

عندما أشاهد عينيك ·· حينئذ تتــــلاشى كل أحـزانى وآلامى ·

ان الادب المصرى يتحتم أن يكون جزءا من النصـــوص التى تعلمها المدرسة المصرية .. يجب أن يعرف الطفـل المصرى أدبه القديم فهو جزء من تراثه وعطائه وشخصيته وكم لمصر القديمة فى باب الادب .

ان مصر مؤمنة   حضارتها دينية .

ومصر فنانة   انجازاتها الرائعة كنوز منشورة .

ومصر اديبة

اديبة بالمواعظ وآداب السلوك ، والامثال ، والحـكم الخالدة .

اديبة بالمقالات والرسائل .

اديبة بالقصص القصيرة حتى ليسود الاعتقاد بين علماء الاثار أن مصر هى موطن القصة القصيرة .

أديبة بالاناشيد والتسابيح .

أديبة بالاغانى التى نظمتها .

اديبة بالتمثيليات والمسرحيات . ان مصر هى صاحبة أول بحث فلسفى واول مسرحية فى آداب الدنيا هى مسرحية منف التى يحتفظ بها متحف لندن . والتى كتبت قبل الدراما اليونانية بنحو ثلاثة آلاف سنة . « كتبت ٣٤٠٠ ق . م » . انها محاولة لتفسير أصل الاشياء .

لقد تدرجت الدراما الاغريقية فى التكوين حتى بلغت مرحلة النضوج اما الدراما المصرية الاولى « مسرحية منف » فقد وجدت كاملة ناضجة لم يعرقل سير الاحداث فرق المغنين كما فى الدراما الاغريقية .

وعرفت مصر أدب السخرية كالذى سجلته رسالة حورى الى امنموبى .

ومن الطريف أن السخرية المصرية صالت وجالت وتهكمت من الحرف المختلفة ولكنها عند الكتابة وقفت خاشعة من عمق ايمانهم بالكتابة حتى جعلوا لها آلهة سموها « سيشات » وزوجوها من اله الحكمة من احساسهم بما بين الكتابة والحكمة من علاقة ذهبية .

قصة الملاح الغريق :

ذلك الانسان المصرى « فى كل عصر » الذى هبت عليه العاصفة والذى حطمت الامواج شراعه وحملته الى الشاطىء،وقذفت به هو نفسه الى الشاطىء « لا رفيق لى قلبى ، راقدا فى غابة لا احتضن الا الفراغ » مما تأثرته

الاوديسة بعد هذا فجعلت يوليسيس يركب سفينة فى البحر ، يثير زيوس فى وجهها العاصفة أيضا فتتحطم السفينة ولا يبقى الا قطعة خشب وهنا يناقش الملاح الاغريقى قلبه أى انه « رفيقه » تماما كالملاح المصرى .

ولم تقتصر المحاكاة على يوليسيس فقد حاكى دانتى ابضا ، الملاح المصرى ، فى قوله :

« ما أعظم سرور من يقص ما وقع له حين ينجو من كارثة حلت به ! »

انها بعينها كلمة الملاح الفريق .

وقصة السندباد البحرى فى الادب العربى هى بعينها قصة الملاح الفريق . بل ان « ديورانت » فى « قصة الحضارة » يعتبرها أقدم صورة من صور قصة روبنسن كروزو .

وقصة حاسب كريم الدين فى الف ليلة وليلة هى بعينها القصة المصرية « الملاح الغريق » .

وتأثر « بألف ليلة » الاداب الاوربية الى حد بعيد وخاصة الادبين الفرنسى والانجليزى .

وقد رسم الادب المصرى صورة منمنمة للصحراء فى قصة « سنوحى » ورسم صورة ملونة للبحر فى قصة « الملاح الفريق » وفى الاثنتين رقرق الاديب المصرى ، الحنين ، الى مصر ، نشيدا ، والشوق الحانا .

ان أولّ درس يتلقاه الطفل المصرى فى النحو :

ضرب زيد عمرا !! ليعرف الفاعل والمفعول..والمرفوع والمنصوب .. وعمرو المسكين باعتباره المضروب دائما يبدو وكأن جسمه تبلد .. ففى كل عام يضرب هو ، ومن

زيد فلا يدفع عن نفسه أذى ولا يكل ولا يمل !! ان الذى كل ومل الصغار فى حصة اللغة العربية .. وبعد هذا كله يخطئون فى الكتابة والاعراب حتى بعد أن يتخرجوا من الجامعة !!

وهنا نخشى الفرق أو نستشعر الذنب حين نجد المدرسة الانجليزية تقرر كتابا فى اللغة الانجليزية ، عنوانه ، ليس « النحو والصرف » أو « الادب والنصوص ولكن « تنمية القدرات » ... فى هذا الكتاب قطعة تحكى أن احد الاغنياء أراد أن يسخر من النقاد فأقام معرضا للوحات رسمها هو كيفما اتفق بلا خبرة أو علم فى الخطوط والالوان .. ثم انتظر آراء النقاد وتعليقاتهم وكان قد مهر كل لوحة عشوائية باسم فنان مشهور ..

واستعرض النقاد اللوحات واستعرضوا فى الوقت نفسه عضلاتهم الفنية .. فمضوا يسهبون فى الحديث عن التيارات الفنية والاساليب الفنية وما يمتاز به فلان وما يبدعه فلان من الاسماء المنحولة على اللوحات .. والرجل يسمع ويملكه العجب والغيظ والسخرية فى آن واحد .. حتى اذا فرغوا من الفرجة وأفرغوا ما فى محفوظهم من كليشهات نقدية قال كلمته المأثورة « ان النقاد لايعرفون دوما ما الذى يتحدثون عنه » .

بعد هذه الحكاية الطريفة المغلفة بالفلسفة والسخرية وضع الكتاب تمرينات مختلفة عن القصة كيف يكتبها الطالب فى عبارة من عنده فى حدود ثمانين كلمة . وتمرينا آخر يقوم على مافيها من تعبيرات جديدة او غريبة أو صعبة وتمرينا يعطى مجموعة من الاجابات على

سؤال واحد ليختار الطالب أصحها ، وموضوعا انشائيا ورسالة ، ومعانى ألفاظ .

والكتاب مملوء بالموضوعات الشيقة المتصلة بالحياة والسلوك والنفس الانسانية ولهذا يحبون لغاتهم حبا يعين على اتقانها ويحمل على الاعتزاز بها .

من الموضوعات الطريفة فى هذا الكتاب : رقم « ١٠٤٨ » .. يقول : الحقائق « ليست حقائق العلم او الحياة ولكنه عنوان جاد لقصة هازلة او ساخرة . فقد ارسلت صحيفة مندوبا لها الى الصين ليغطى افتتاح قصر كبير وأبرق الرجل الى رئيس التحرير أن القصر يصعد اليه بمئات السلالم فطلب اليه رئيسه أن يحدد عدد الدرج بدقة . وهنا بدأ الصحفى بعد السلالم فقبضوا عليه وأودعوه مستشفى المجانين .. ويثبت لهم جاهدا انتماءه الى العقلاء فيفرج عنه . وهنا يذهب الى القصر ويبدأ فى عد الدرج من جديد تحقيقا لرغبة رئيسه فى الجريدة وفى كل مرة يقبضون عليه عندما يصل فى العد الى الرقم ١٠٤٨ » .

موضوع اسمه « غير مذنب » يسخر من الجمارك

موضوع اسمه « أعظم كوبرى فى العالم »

موضوع اسمه « طعام رجل ، سم لاخر » يتحدث عن اطعمة الشعوب المختلفة وقصص انسانية عميقة .

من خلال هذه الطرائف الحافلة بالمعلومات يعلم الناس غيرنا لغاتهم بلا افتعال « عركة » بين زيد وعمرو . فهل نعى هذا الدرس ؟

هل تعلم المدرسة المصرية **الادب الشعبى** وكيف نحترمه بما هو محصلة خبرة طويلة بالحياة والاحياء ؟

هل تعلم المدرسة المصرية **الفنون الشعبية ؟**

فى مؤتمر الدراسات العربية الذى عقد ببيروت سنة ١٩٥١ قال المغفور له الدكتور احمد زكى : « انه لو خير بين اشياء كثيرة يعطاها العرب ، ما اختـــار المال أو الاستقلال ولكن التعليم . »

ولا احسب انه يقصد التعليم القائم اليوم فى المدرسة المصرية والمدرسة العربية بأساليبها ووسائلها ..

لنقارن : كيف يعلمون اللغة الانجليزية وكيف نعلم اللغة العربية .

والحديث لايزال عن السنة الاولى الثانوية .

ان مقرر اللغة الانجليزية موضوعات نابعة من صميم الحياة وعلى أعلى مستوى فى البحث والتأصيل ولـكن من خلال عشرين قصة تجذب بالتشويق والصورة .

وليس بالكتاب واحدة للملكة أو لغيرها .. ولـكن :

امثلة شعبية انجليزية وأمثلة تقابلها من الشعـــوب الاخرى ليكتشف الطالب انعكاسات كل بيئة على أمثالها ولغتها وتفكيرها وأسلوبها فى الحياة . وليكتشف الطالب اكثر أن الانسان هو الانسان فى كل مكان خاصة فيمـا يتصل بعواطفه ومخاوفه وآلامه مما تصوره أصـــدق تصوير الاداب الشعبية فى محاولة تقريب بين اللغـــة الشعبية ولغة الكتابة حتى لا يتكلم التلميذ لغة فى بيته ولغة فى الفصل .

موضوع آخر : وقفة عند اصل الكلمات الشائعة وأصل الاصطلاحات الرمزية ..

موضوع اخر : الالفاظ التى تبدو متشابهة أو متماثلة

وبيان مابينها من فروق دقيقة في محاولة لارهاف الحس واحساس الدقة ... والحضارة هى الفروق .

وفيما بين هذا وذاك سؤال فى النحـو على فترات متباعدة ليبدو النحو جزءا من كتاب جميل . عنـدنا يستقل النحو بكتاب حتى يسهل اجتنابه كما يظهر .

موضوع آخر : كيف تبدأ كتابة القصة يعطيك عـدة استهلالات جذابة .

موضوع عن الشيكات وكل مايتعلق بها تسليحا للحياة

موضوع الخطابات خطاب العمل وخطاب الصـداقة وخطاب الرد وخطاب الطلب مما نفتقده فى دروس اللغة العربية ثم فى الحياة العامة وطبعا لا نتعلمه فى حصـة الجغرافيا .

هذا عن المناهج الدينية واللغوية والادبية . أمـا المناهج التاريخية والقومية التى يجب أن تكون رسالتها رسم صورة حقيقية نابضة لمصر فهى بدورها تحتاج الى هزة قوية .. مثلا : مصر الدين والفن هل نعرفهـا

مثلا : ريادات مصر الحضارية هل نعرفها ؟

كم من اسئلة كبيرة لا تجيب عليها المدرسة المصرية ثم تحكم بالرسوب على الصغار الذين لا يجيبون على الاسئلة الصغيرة !!

وأخيرا .. متى نبدأ ؟

فهرس

رقم الايداع بدار الكتب ١٦١٧ ـ ١٩٨٣
الترقيم الدولى ٣ ـ ٠١٩ ـ ١١٨ ـ ٩٧٧ ISBN

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبد العال بسيوني زغلول ـ الكويت ـ
الصفاه ـ ص· ب رقم ٢١٨٣٣ تليفون ٧٤١١٦٤

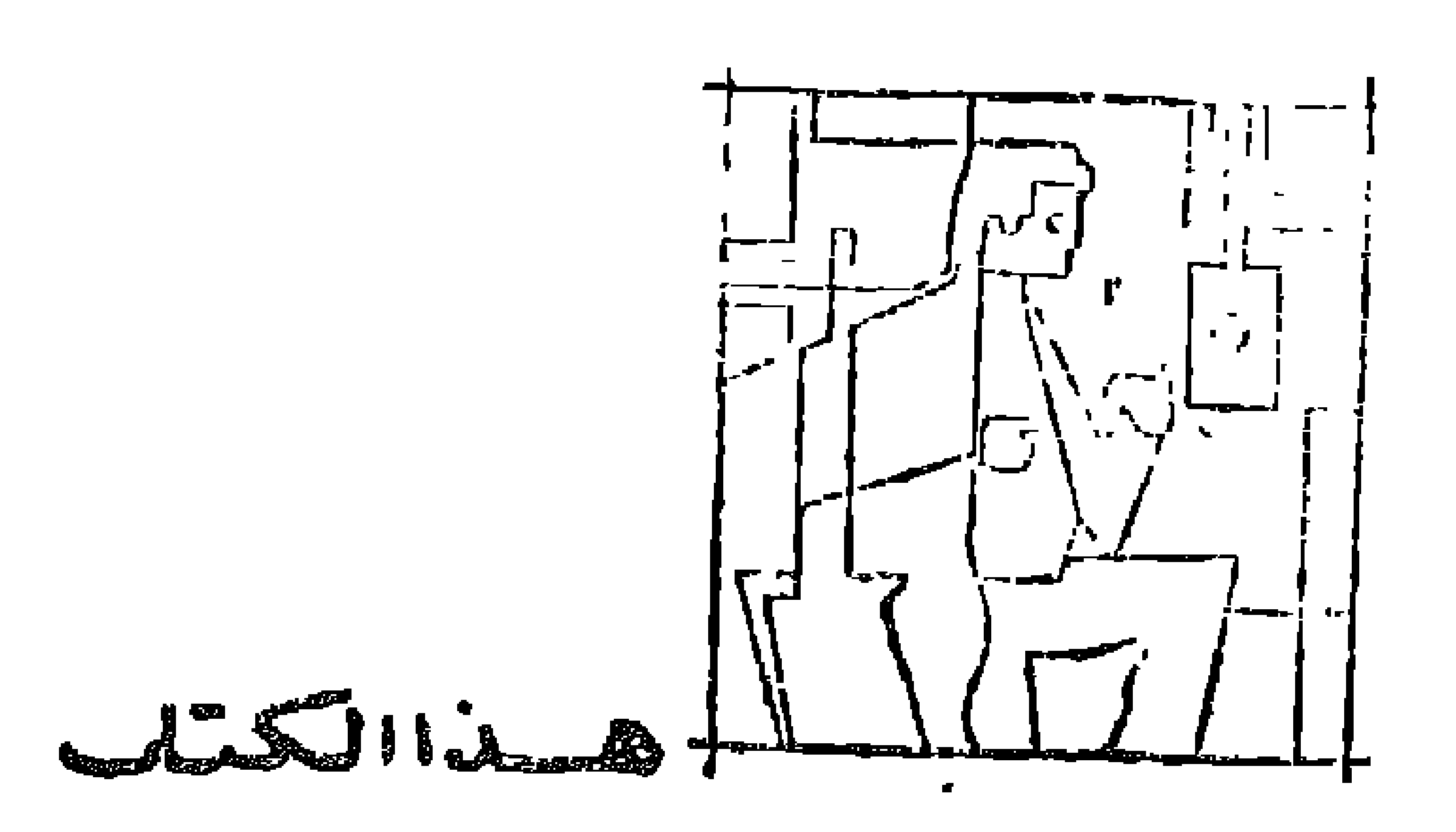
جدة ـ ص ـ ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :
GULF ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
Bishopsthrose Road
London S.E. 26 ENGLAND

البرازيل :
Sr. Miguel Maccul Cury 8 25 de Marco. 990
Caixa Postal 7406, Sao Paulo. BRASIL

اسعار البيع للاعداد العادية فئة ٣٠٠ مليم :

سوريا ٤٠٠ ق·س اديس ابابا ٥٠٠ سنتا لبنان ٥٠٠ ق·ل باريس ٨ فرنكات الاردن ٥٠٠ فلس لندن ٨٠ بنى الكويت ٥٠٠ فلس ايطاليا ١٢٠٠ ليرة العراق ٥٠٠ فلس سويسرا ٤ فرنكات السعودية ٦ ريال أثينا ٥٠ دراخمة السودان ٣٥٠ مليما فينا ٣٥ شلن تونس ٦٥٠ مليما فرانكفورت ٥ر٣ مارك المغرب ٨٠٠ فرنكا كوبنهاجن ١٠ كرونات الجزائر ٦٥٠ سنتيما استوكهولم ١٤ كرونة الخليج ٤٥٠ فلس كندا ٢٥٠ سنت غزة ٨٠ ليرة البرازيل ٣٥٠ كروزيرو الصومال ٥٠ بنى نيويورك ٢٥ سنت داكار ٤٠٠ فرنكا لوس انجلوس ٣٠٠ سنت لاجوس ٦٠ بنى استراليا ٣٠٠ سنتا اسمرة ٥٠٠ سنتا هولندا ٤ فلورين اليمن الشمالية ٥٠ بنى



هـذا الكتاب

المشكلة التى يتحدث عنهـا الجميع من بعيـد أو قريب وفى ذهن المتحدثين اعتبارات شتى تتحكم فى الحقائق المجردة فجاء هذا الكتاب يواجه المشكلة مواجهة حقيقية جريئة لا تعـوزها الارقام والاحصاءات فى مواضعها •

فجر هذا الكتاب اسباب المشكلة ومنها :

● التحديث •• أى المعاصرة والتراث •

● التغريب •• أى تتبيع دول الحضـــارات القديمة للغرب فى محاولة تغيير الجلد وهز الأصالة فى عملية غزو حضارى يورث الشك والشتات النفسى واغتراب الانسان على ترابه وفى أرضه •

الانحلال الخلقى فى المواقع الكبيرة ، والاعتـــداء الفوقى على المال العام ، وافتقاد القدوة •

وطرح الكتاب الحل بالجرأة نفسها متناولا :
المسجد ـ الكنيسة ـ الجامعة ـ الصحافة ـ مناهج التعليم •

وموضوعات أخرى دقيقة وخطيرة •

أكبر كثيرا من حجمه ، هذا الكتاب •

٣٠ قـــرشـــاً